

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٢)	جمادى الآخرة ١٤٣١ هـ
العدد السادس	يونيو ٢٠١٠ م

المشـرف العام

عبـد اللّٰه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	صـوت الأمـــة بى ١ / ١٨ جى، ريورى تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التاليف والترجمة، ريورى تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيـــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخــة (١٥) روبيــة

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١

محتويات العدد

الصفحة	العنوان
	الافتتاحية:
	١ – أكل أموال الناس بالباطل
٣	أسعد أعظمي بن محمد أنصاري
	آفاق إسلامية:
	٢ – مكانة الإنسان ومسؤوليته
٨	الدكتور مقتدى حسن الأزهري
	الإسلام والمسلمون:
	٣ – متى دخل الإسلام اليابان ؟!
١٣	د. محمد بن سعد الشويعر
	تفنيد المزاعم:
	٤ – سقطات هشيم المحتظر ......
١٨	الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي
	تصحيح المفاهيم:
	٥ – تغسيل فاطمة بنت نبينا محمد ﷺ نفسها قبل موتها
٢٦	أبوعبيدة مشهور بن حسن آل سلمان
	تصحيح المفاهيم:
	٦ – آيات من كتاب الله شاع فهمها على خلاف ...
٣٤	محمد سكحال
	بحوث ودراسات:
	٧ – في أصول الفقه
٤١	الشيخ محمد أسلم المدني المباركفوري
	آداب إسلامية:
	٨ – آداب الأذان
٤٦	الشيخ لطف الحق المرشد آبادي
	سمو الإسلام:
	٩ – الرفق بالبشرية: من مظاهر الحضارة الإسلامية
٥٠	صهيب أحمد شكيل أحمد خان
	ركن الطلاب:
	١٠ – تشويق العباد إلى تربية الأولاد
٥٥	حسن البناء عبد الغفور
	من أخبار الجامعة:
٥٩	١١ – من أخبار الجامعة

الافتتاحية

أكل أموال الناس بالباطل

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

لا يكاد يمر يوم إلا وتفيد الأنباء بتورط الوزير الفلاني أو المسؤول الرفيع المستوى في جريمة مالية تقدر بالبلايين بصورة رشوة كان أخذها أو بصرف مبالغ باهظة لأقاربه أو معارفيه بدون استحقاق، أو بغير ذلك من الصور والطرق الكثيرة المعروفة منها وغير المعروفة.

قضايا كثيرة تحال إلى المحاكم بين فترة وأخرى، ويجري البحث والتفتيش ومناقشة الاتهامات ومن ثم الإدانة بالجريمة والقضاء بالحبس أو الغرامة أو بهما معا، ومع هذا وذاك يزداد الأمر سوء ا يوما بعد يوم، ويطلع المطلعون على قضايا ومعاملات جديدة للسلب والنهب وأكل أموال الناس بالباطل، ومن جملة أسبابه أن المرتشي – مثلا – إن انكشف أمره، وتم القبض عليه فإنه يطلق سراحه بتقديم مبلغ مناسب كرشوة إلى من يهمهم الأمر، فكان القبض عليه بتهمة الرشوة وكان إطلاقه أيضا بطعمة الرشوة. وهذا القبض والإطلاق يكون نادرا أو قليلا، وإلا فإن الأمور تسير – في الغالب – بالتفاهم المسبوق مع المسؤولين المعنيين وبتعيين النسبة المعينة – مسبقا – في العوائد والفوائد.

إن بلادنا معروفة بكثرة سكانها، وعدد كبير منهم يعاني من البطالة أو قلة الوسائل المعيشية والدخل المحدود، أو يعيش تحت خط الفقر، ومعظم الدول الآسيوية بل وغير الآسيوية أمرها هكذا، ومع هذا الوضع المؤلم والمؤسف للشعب تجد المسؤولين وأرباب المناصب يسبحون في محيطات المال، صناديقهم مملوءة، وحساباتهم في البنوك المعلومة وغير المعلومة لا تسأل عنها، لهم بيوت فاخرة وبنايات عامرة في كل مدينة راقية في داخل البلاد وخارجها، يعيشون عيشة الملوك، كأنهم خلقوا للدنيا، والدنيا خلقت لهم فحسب، ولا مؤاخذة على ذلك إذا كانت ثروتهم وممتلكاتهم بكد أيمانهم وكسب أيديهم كسبا حلالا. ولكن لا ينقضي عجب المرء إذا فوجئ بأحد هؤلاء ينكشف أمره بأنه حصل على مبلغ كذا وكذا (بالبلايين) عن طريق غير مشروع، ثم تتوالى الأنباء بتورطه في جرائم مالية أخرى من مختلف الجهات والمصادر. وهؤلاء لا يترددون في هذا الطريق حتى من تسريب وثائق الدولة إلى دول وأشخاص أعداء، ومن تهريب أسلحة الدولة إلى المنظمات والأفراد المتطرفة لقاء مبلغ مالي. إنهم في الغالب يستغلون المناصب التي يشغلونها استغلالا رهيبا، ويعدونها فرصة ذهبية قد لا تعود، فيخططون تخطيطا دقيقا لامتصاص خزائن الدولة أو خزائن الجهة في مدة المنصب وما إن

يعتزلون عن المنصب إلا وقد أشبعوا نهمهم وملأوا صناديقهم، وأمّنوا أجيالهم القادمة والموجودة من هم الكسب وفكر المعاش.

إن العالم يفتخر اليوم بأنه عالم متحضر متقدم متطور، ولكن حضارته حضارة مادية بحتة، بلغت بإنسان اليوم — إلا من رحم الله، وقليل ما هم — إلى أن يجعل الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه، فهو يقوم ويقعد ويرقد ويحلم ولا هم له إلا المال، ولا يسيطر على ذهنه إلا الدنيا وزخرفها، فهو يضحي في سبيلها المروءة والقرابة والضمير والخلق وجميع معاني الإنسانية، ويتصرف تصرف البهائم، ولا يرقب في أقرب الناس إليه إلاًّ ولا ذمة، ولا يخشى لومة لائم،ليس له صلة إلا بالمال وليس له قرابة إلا بالمادة، وليس له مودة إلا بالدنيا.

إن طغيان المادة على فكر الإنسان واعتباره إياها غاية لا وسيلة في هذه الحياة الفانية، وما ينتج عنه من أضرار ومفاسد اجتماعية وأخلاقية أمر مقلق للغاية، يدعو إلى ضرورة التصدي لهذا الفكر المنحرف ولهذه النفسية المقوتة، وقد قامت مذاهب وفلسفات في السابق للوقوف أمام هذا الفكر والقضاء عليه، ولكنها كلها باءت بالفشل، وعجزت عن تحقيق نجاح يذكر، بل لفظت أنفاسها في مهدها، وبادت إلى غير رجعة.

أما الإسلام، ذلك الدين القيم الوارد من لدن حكيم خبير، فهو يقدم حلولا ثابتة، ويرشد إلى رؤية سليمة وموقف سديد من هذا الموضوع، لا إفراط فيه ولا تفريط، ولا جنوح فيه إلى جانب على حساب جانب آخر، إنه يقدح نظاما ماليا متكاملا، ويؤكد على أن الدنيا بكل ما فيها من متاع وأموال ليست هي الغاية للإنسان، وإنما هي وسيلة إلى الغاية التي خلق من أجلها، وهي تحقيق العبودية لله جل وعلا.

يقول الدكتور عبد الكريم زيدان:

"... فلا يجوز (للإنسان) أن ينسى هذه الغاية إذا ظفر بوسائل الدنيا ومتاعها، ولا يجعل الدنيا أو شيئا منها هي غايته، إن الحذاء وظيفته أن يضع الإنسان قدمه فيه، ون الدابة وظيفتها أن يركبها الإنسان ليبلغ المكان الذي يريده، فلا يجوز في فقه الإسلام ولا في إدراك العقل السليم أن يكون القصد من اقتناء الحذاء غاية في نفسه، ولا الحصول على الدابة غاية في نفسها، وهكذا متاع الدنيا يميل إليه المسلم كوسيلة فقط، تسهل له بلوغ الغاية التي خلق من أجلها، وأنه سيفارق هذه الوسائل قطعا، ولا يبقى له إلا ما استفاد منها في عبادة ربه ومرضاته إن إدراك هذه المعاني واستحضارها في الذهن من الأمور الضرورية لضبط النشاط الاقتصادي على النحو الذي يريده الإسلام، لأن الضوابط الحقيقية لنشاط الإنسان هي التي

تضبطه من داخله، تضبط إرادته وقصده ونظرته وميله، فإذا انضبط الداخل سهل ضبط الخارج أي النشاط الخارجي للإنسان ....". (أصول الدعوة ص: 195)

والناظر في تعاليم الإسلام يعلم جيدا أن الإسلام أوجب التزام الحلال الطيب في كسب المال، وقد وسع الله دائرة الحلال، فلا تضيق على طالبه أبدا، فأحل البيع، والتبادل والهبة، والهدية، والوصية، والإجارة، والعارية، والقرض، والشركة، وكل سبيل للحلال كالزراعة والصناعة والتجارة والرعي .. الخ قال الله تعالى:

(يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا – البقرة: 168)

وقال: (وأحل الله البيع – البقرة: 275)

وقال: (وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله – المزمل: 20)

كما أنه أوجب اجتناب كل حرام خبيث سواء في ذاته أو في وسيلته، وما يؤدي إلى ضرر شخصي أو اجتماعي، مادي أو معنوي، قال جل وعلا: (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل – النساء: 29) وقال: (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم، إنه كان حوباكبيرا – النساء: 2)

ونجد في الأحاديث النبوية من أقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم ما يتضح به موقف الشرع من هذا الأمر أكثر.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء". (مسلم)

وعن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

" ... أبشروا وأمّلوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم". (متفق عليه)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم". (متفق عليه)

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه" (أحمد والترمذي)

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمه هذه الكلمات: "اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك". (أحمد والترمذي)

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهؤلاء الكلمات: "اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار، ومن شر الغنى والفقر".

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن من دعاءالنبي صلى الله عليه وسلم:

" ... ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا ..". (الترمذي والحاكم)

والإسلام يحرم الكسب من كل وسائل التدليس كالغش، واليمين الباطلة، والغرر، والنجش، والخيانة، والتزوير،والرشوة، والتطفيف. وكذلك كل كسب لا يقابله جهد وعمل مشروع كالقمار والميسر، والمراهنة، والغصب، والسرقة، وما إلى ذلك.

وقرر الإسلام عقابا لمن ينقض هذا الالتزام ويتجاوز على حق الملك للغير، فهناك عقوبة السرقة وقطع الطريق وخيانة الأمانة والنهب ونحو ذلك، سواء أكانت هذه العقوبات عقوبات حدود أو تعزير.

ونرى أيضا أن الإسلام "حدد سبل تثمير المال وتنميته، ومنها التجارات والمزارعات والشركات ونحو ذلك، فلا يعترف الإسلام بالنماء الناتج عن سبب باطل حرام، كالربا مثلا أو بيع الخمور، أو فتح نوادي القمار. إن هذا النماء الناتج عن هذه الأسباب المحرمة في نظر الإسلام كالورم الذي يصيب بدن المريض، يحسبه الجاهل سمنة وعافية، وهو في نظر الحكيم العارف بلاء ومرض يجب التخلص منه". (أصول الدعوة: 208)

ولمعرفة أكثر لموقف الإسلام من المال ونظرته إليه ننظر في مدلول قوله تعالى: (.. كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) وذلك بعد ذكر بعض مصارف الفيء في قوله: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل — الحشر: 7) فالإسلام مع اعترافه وإقراره بتفاضل بعض الناس على بعض في الغنى والفقر لا يشجع بل لا يسمح أن يكون المال محصورا متداولا بين الأغنياء فحسب، بحيث يكون بعيدا عن متناول الفقراء ومحدودي الدخل، كما هو الواقع، أو كما يظهر بين حين وآخر من تصرفات كثير من الكبار والأثرياء، وأرباب المناصب والمسؤولين.

يقول الأستاذ السيد قطب في تفسيره للآية المذكورة:

" قاعدة التنظيم الاقتصادي تمثل جانبا كبيرا من أسس النظرية الاقتصادية في الإسلام، فالملكية الفردية معترف بها في هذه النظرية، ولكنها محددة بهذه القاعدة: قاعدة أن لا يكون المال دولة بين الأغنياء، ممنوعا من التداول بين الفقراء، فكل وضع ينتهي إلى أن يكون المال دولة بين الأغنياء وحدهم هو وضع يخالف النظرية الاقتصادية الإسلامية كما يخالف هدفا من أهداف التنظيم الاجتماعي كله، وجميع الارتباطات والمعاملات في المجتمع الإسلامي يجب أن تنظم بحيث لا تخلق مثل هذا الوضع أو تبقي عليه إن وجد.

... إنما هو نظام خاص من لدن حكيم خبير، نشأ وحده، وسار وحده، وبقي حتى اليوم وحده، نظاما فريدا متوازن الجوانب، متعادل الحقوق والواجبات، متناسقا تناسق الكون كله، مذ كان صدوره عن خالق الكون، والكون متناسق موزون". (في ظلال القرآن: تفسير سورة الحشر)

وبعد: هذه هي رؤية الإسلام للمال ومتاع الدنيا، وهذه هي الهداية الربانية، وهذا هو التوجيه السديد. واليوم – إذ يزداد عدد أصحاب المطامع ومرددي "هل من مزيد" ويكثر وقوع الجرائم المالية خاصة من ذوي الهيئات والمناصب، مع عجز المناهج والقوانين الوضعية – يبقى الوحي الإلهي والهداية الربانية الأمل الوحيد لإعادة الأمور إلى نصابها، ولتهذيب النفوس، وتربية البشرية على القناعة والعفاف والاكتفاء بالحلال عن الحرام وبالطاعة عن المعصية، وبفضل الله عما سواه. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.

وفي حال الاستمرار في التخبط هنا وهناك، وفي الإعراض عن المنهج الرباني والتذكير القرآني والتوجيه الإسلامي يتحتم مصير السوء والعاقبة السوداء: (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون، فقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين – الأنعام 44 -45)

* * *

آفاق إسلامية

مكانة الإنسان ومسؤوليته

الدكتور مقتدى حسن الأزهري

إن الظروف التي تحيط اليوم بالأمة الإسلامية هي ظروف صعبة ومعقدة، والعصر الذي تعيش الأمة فيه هو عصر الانحطاط والامتهان وسيادة الانحلال والفوضى، يعد اليوم التمسك بالأخلاق والفضائل شيئا غريبا، والاعتناء بالدين ومبادئه ومثله العليا أمرا منكرا. والأغرب أن الإنسان في هذا الانحطاط والمهانة يزعم أنه يسير نحو الكمال، ويتقدم إلى الرقي والسعادة، مستندا إلى إنجازاته العلمية وإحرازه النجاح والتقدم في مجال العلوم والاكتشاف. والذين يؤمنون بالمادة ويركزون جهودهم كلها حول الماديات يوافقون إنسان هذا العصر فيما يزعم ويعمل، ويفتخرون بهذه الإنجازات المادية والاكتشافات العلمية، ويترقبون وراء هذا التقدم المادي مستقبلا زاهرا للإنسانية وحلا سليما لمشاكلها المتشعبة. إنهم — بإنكارهم ضرورة الدين وهداية الله — متأكدون بأن الإنسانية قد وصلت، بعد سفرها الطويل المتعب، إلى غايتها واستراحت بعد الجهد والعناء في ظل هذا التقدم المادي والازدهار العلمي. إنهم يعتقدون أن الإنسانية قد طلع عليها فجر جديد بعد ليل طويل مظلم، وهي من الآن تبدأ سيرها من جديد وتحقق الأهداف والآمال التي علقت بها منذ زمن.

واتجاه الإنسان هذا قد جاء نتيجة لابتعاده عن تعاليم الدين وتخليه عن هداية القرآن الذي كرم بني آدم وأحلهم منزلة سامية رفيعة. إن للإنسان صورة في القرآن الكريم تختلف تماما عن الصورة التي رأى الماديون فيها الإنسان وعاملوا في ضوئها معاملتهم له. ونرى عند علماء الغرب محاولات عديدة لفهم حقيقة الإنسان ومكانته في الكون، ولكن الأسف أن أحدا منهم لم ينجح في الوصول إلى الصواب، ولم يقدر قدر هذا الموجود الحي، بل صادفنا فيهم من ينكر كرامة الإنسان ويعتقد أنه ارتقى وتطور من الحيوانية إلى هذه المنزلة الإنسانية. والأمر المشترك العام في اتجاه العلماء الماديين ونظرياتهم نحو الإنسان وحقيقته هو

أن الإنسان مخلوق عادي كسائر المخلوقات، وجد ليعيش على الأرض ثم يفنى كما تفنى البهائم والدواب، فليس هناك هدف سام وغاية عليا وراء خلق الإنسان.

ولكن الأمر في نظر الدين ليس كذلك، إنه ينظر إلى الإنسان نظرة الشرف والكرامة، ويقرر أن الإنسان مخلوق غير عادي. ولخلقه أهداف وغايات سامية، سخر الله له الكون حتى يحققها وينجزها. فالقرآن يقرر: "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم". ويقول: "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا".

ثم هو مظهر صفات الله على الأرض وخليفته في الكون، خلقه الله تعالى وسخر له ما في السماوات والأرض، وألقى على كاهله المسئولية العظيمة من الإيمان بالله والعبادة له وتنظيم شئون الناس وتوجيههم نحو الخير والسعادة. يقول الله تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون". فالكون أمانة الله في يد الإنسان وهو مسئول عنها لأنه قبلها ورضي بتحملها: "إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان".

والله تعالى حينما جعل الإنسان خليفته في الأرض نظم له أموره في الدنيا والمنهاج الذي يساعده في تحقيق أهدافه ويضمن له السعادة والفوز في الدارين. إنه حذر الإنسان أولا من الشيطان وقوى الشر التي تعمل دائما ضد الإنسان وتحاول القضاء على مصالحه وتلبس عليه أموره. ثم أعلمه بأن بقائه في الدنيا وحياته على الأرض ليست أبدية، وليس هو حرا في تصرفه واستمتاعه بنعم الله. وبعد ذلك علمه المبادئ التي تهديه وتحقق ما يسمو إليه.

والإنسان هو خليفة الله في الأرض وحامل رسالة الدين الخالد الذي جاء لهداية البشر إلى الأبد وفي كل مكان. وبذلك نرى أن مسئولية الإنسان مسئولية أبدية ورسالته رسالة دائمة مقدسة ليس لها نهاية ولا تحديد. والإنسان لا يمكن أن يعتبر ناجحا إلا إذا أدى هذه الرسالة وعرف مكانته ومسئوليته حق المعرفة وركز جهوده لتحقيق الغاية التي خلق لأجلها. والأديان السماوية كلها جاءت لتؤكد ذلك وتذكر الإنسان بمكانته في الكون وبمسئوليته نحو العالم. والإسلام إذ جاء ناسخا للأديان السابقة قد أتى بنظام مثالي لسعادة الإنسان وتنظيم

شئونه في الدنيا والآخرة. وللتعريف بهذا النظام ونشره بين الناس أوجب على الذين آمنوا به وتسلموا في الأمة منصب القيادة والدعوة أن يتصفوا بالصفات الآتية حتى يتم لهم ما يريدون من هداية الإنسانية ونشر السعادة والسلام في العالم. والقدوة في ذلك حياة الأنبياء عليهم السلام الذين ضربوا لنا أروع مثال لكمال الإنسانية، والتضحية بكل غال وثمين في سبيل المبادئ والمثل العليا:

الأولى: التربية الذاتية، ومعناها أن يهتم القائد الداعي بتربية ذاته وإصلاح نفسه ويحاول الإلمام بمشاعر الإنسان وعواطفه وميوله ويعرف من تاريخ الإنسان على الأرض وسنة الله في الكون ما يساعده في أداء واجبه ونشر دعوته. وذلك قد يحصل بإرشاد من قائد وتوجيهه إذا تيسر ذلك، وإلا قد تكون الأحداث والوقائع التي يعيش معها الداعي هي التي تعلمه وتدربه على مواجهة الحياة وأداء مسئوليته نحو الأمة. وفي القرآن آيات تدل دلالة واضحة على أن الأنبياء عليهم السلام لم يبعثوا إلى أممهم إلا بعد أن أتموا هذه المرحلة وانتهوا من التربية الذاتية.

والثانية: الصلاحية، ومعناها أن يكون القائد أهلا لأداء مسئوليته وصالحا للعمل في البيئة والمجتمع الذي يعيش فيه. ومن المعلوم أن مسئولية الدعوة خطيرة جدا وهي تتطلب أن يكون الداعي ذا بصر ومعرفة بطبائع الناس ونفوسهم ويقدر على العمل المتواصل مهما كانت الظروف.

والثالثة: التفاني، وذلك بأن يعيش الداعي مع المبادئ والقواعد التي يؤمن بها ويدعو إليها ويتفانى في سبيل حمايتها ونشرها ويضحي لأجلها كل ما يملك من الصغير والكبير. وحياة الأنبياء عليهم السلام جميعا أمثلة رائعة للتفاني والتضحية، فإنهم قد بذلوا جهودا جبارة لنشر دعوتهم واتخذوا مواقف حاسمة لحماية دعوتهم ودينهم. إنهم قتلوا وأخرجوا من ديارهم ولكنهم ما تنازلوا ولم يتحولوا عن اتجاههم ولم يتخلوا عن المبادئ السامية التي تبنوها. وهذا هو سر نجاحهم وخلود أعمالهم وشخصياتهم على مر الأيام. فالعالم لم يعرف إلى الآن أشخاصا يعيشون لغيرهم ويؤثرون مصالح غيرهم على مصالحهم، إنهم شخصيات

تفتخر بها الإنسانية ويفتخر بها التاريخ، وحياتهم هي التي تستأهل أن تكون قدوة للإنسان في هذا العصر المادي الذي طغت فيه الأنانية والذاتية على المثل والأخلاق.

والرابعة: العمل، ومعناه أن يكون الداعي نشيطا وثابتا في عمله لا يعرف التوقف والاستكانة، والذي يواجهه من الظروف الصعاب والمشاكل المعقدة لا يزيده إلا ثباتا واستمرارا في العمل. وبذلك يتميز القائد عن المفكر، فالأول يقدم نموذجا عمليا من حياته لجميع ما يدعو إليه المبادي والأحكام. والثاني لا يقدم إلا نظريات فارغة ينقصها العمل والتطبيق.

والخامسة: الأخلاق، فإنها تسخر القلوب وتسيطر على العقول. ومن الواجب أن يكون القائد الداعي على مكانة عالية من الأخلاق ويتمتع بصفات الصدق والأمانة وسعة الذهن والتطلع إلى الكمال، حتى يحبه الناس ويتقربون إليه. والقرآن يرشد الناس إلى ذلك فيقول: "فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك". وحياة نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام وحدها كافية للدلالة على المكانة العالية التي وصل إليها الأنبياء عليهم السلام في الأخلاق. إنه عليه السلام أخرج من بلده مكة واضطر إلى اتخاذ المدينة مسكنا له ولأصحابه رضي الله عنهم. ثم تغيرت الظروف وتبدلت الأحوال فتمكن من أعدائه وأعداء الله، ولكنه لم ينتقم منهم، ولم يشدد عليهم، بل قال: لا تثريب عليكم اليوم.

والسادسة: قوة العارضة وبلاغة الكلام، ومعناها أن يكون الداعي متمكنا من الاستدلال وإقامة الحجة على ما يدعو إليه وإقناع الناس بدعوته. ويلاحظ في ذلك أن الناس مختلفون في تفكيرهم وعقولهم، وكذلك نرى اختلافا ملموسا في أسلوب كل عصر واتجاهاته. وعلى الداعي أن يراعي ذلك ويخاطب الناس بلغة يفهمونها وبأسلوب يستحسنونه. والقرآن في حكايته عن الأنبياء عليهم السلام وطرق دعوتهم يقدم لنا أمثلة عديدة لمراعاتهم هذه القاعدة المهمة وسلوكهم في الدعوة الطريقة التي تكون أقرب إلى العقول وأبلغ في التأثير. وبذلك نرى أنهم قد حققوا المعجزات وأحدثوا تحولا كبيرا في حياة الأمم التي كانت منهارة في الأخلاق والدين، وكان الناس قد يئسوا منها. ولكن جهود الأنبياء عليهم السلام حينما أثمرت جعلت منها أمما قادت العالم ولقنتها دروسا في الحضارة والتقدم.

والإنسان بكونه خليفة الله في الأرض وداعي الناس إلى الخير في حاجة إلى اتباع ما يأتي حتى تثمر أعماله ويكون لها أبلغ التأثير:

الأول: أن يركز جهوده في البداية حول الأمور الأساسية بطريقة بناءة وأسلوب جذاب.

والثاني: أن يراعي مكانة الآخرين ويقدر جهودهم البناءة ويجمع الأمة على الأمور المشتركة التي يعترف بها الجميع.

والثالث: أن يهتم بالأمور العظيمة، ولا يثير الموضوعات التافهة التي ليس وراءها فائدة تذكر.

والرابع: أن يتجنب الأمور التي تشتت شمل المسلمين وتفسد عليهم حياتهم الاجتماعية. فإن الداعي لا يمكنه أن يقضي دفعة واحدة على المفاسد التي رسخت في المجتمع ووجدت لدى الناس قبولا. فإن ذلك يأخذ وقتا طويلا ويزول بعد جهود متواصلة. فعلى الداعي أن يتدرج في دعوته ويحاول القضاء على المفاسد بطريقة حكيمة لا تجلب هي الأخرى المفاسد والأضرار ولا تحدث خللا في المجتمع. ومثال ذلك ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الرق. فإنه كان ظاهرة شائعة في المجتمع، والنبي عليه السلام لم يلغه إلغاء تاما مع أن تعاليم الإسلام كانت تعارضه، وكان ينافي الكرامة الإنسانية. والسبب في ذلك أنه كان يعرف أن القضاء على هذه الظاهرة دفعة واحدة قد يؤدي إلى اختلال الحياة الاجتماعية، فاتخذ لذلك سبيلا كان أنفع وأبلغ،وهو أنه حث الناس على تحرير العبيد ووعدهم في ذلك أجرا عظيما. ومن ناحية أخرى أعلى درجة العبيد في المجتمع وأوصى الناس بهم خيرا على أساس الأخوة الإسلامية، فلم تكن معاملة المسلمين مع عبيدهم معاملة السيد مع المولى، بل هي معاملة كلها رفق ولطف ومواساة ومواخاة.

والإنسان حينما يعرف مكانته في الكون ومسئوليته نحو البشرية ينطلق لما يدعو إليه الإسلام ويخضع لما يتطلب منه الدين، فإن الدين هو الحق وهو الذي يمكن أن يقدم إلى الإنسانية ما يسعدها ويرضيها.

(صوت الجامعة: جمادى الأولى **1392** هـ = يوليو **1972** م)

* * *

الإسلام والمسلمون

متى دخل الإسلام اليابان ؟!

بقلم: د. محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

تاريخ الإسلام، ودخوله اليابان جديد في تاريخه، فهو لم يبلغ قرنا من الزمان، وفق ما وصل إلينا علمه، وتعتبر الحرب الروسية اليابانية في مطلع القرن الميلادي الحالي، هي المفتاح الذي أنار الطريق أمام اليابانيين للبحث في دين يعتقدونه وينتحلونه، يقول أحد المشاركين في أول مؤتمر عُقد في اليابان للبحث عن الدين المناسب بين الأديان الموجودة على ظهر الأرض: كأن الحرب الروسية كانت بمنزلة المرآة لدى اليابانيين، نظروا إلى هيئاتهم الاجتماعية، فرأوا فيها المجد والفخار وسائر الصفات التي تسمو بالرجال إلى أعلى مراتب العزة والمنعة، ولكنهم رأوا فيها شيئا لم يرضوه لأنفسهم ألا وهو الدين، رأوا معتقداتهم الأصلية التي اتبعوا فيها آباءهم وأجدادهم، ليست منطبقة على العقل، فأنفوا أن يكونوا مع هذا الفخر الباهر، غير متدينين بدين يوافق رقيهم المادي والعقلي والأدبي.

وإن كان بعض الباحثين ينسبون بدء الإسلام في اليابان، إلى الجنود الروس المسلمين الذين غرقت سفينتهم، فأنقذ بعضهم أحياء، وأدخلهم اليابانيون السجن، فرأوا حسن استقامتهم وصلاتهم ماجعل المسئولين عنهم في السجن، يرتاحون لهم، ويأذنون لهم بالخروج من السجن للأسواق ثم يعودون في الوقت المحدد، دون أن يحدث منهم كذب أو مخالفة، ومع أنهم لا يعرفون لغة بعض إلا أن محبة هذا الدين، الذي يعتنقه بعض الجنود الروس، وهو دين الإسلام، جعل اليابانيين، المشرفين عليهم يسهلون مهماتهم، ويساعدونهم في تخصيص مكان للصلاة والطهارة والوضوء في السجن، حتى شفعت الدولة العثمانية بإعادتهم إلى بلادهم عن طريق تركيا، لأن لها علاقة مع اليابان ذلك الوقت، لكن تلك الحرب جعلت جذورا لدى اليابانيين، ولذلك اجتمع الكبراء والوزراء في عام **1906** م الموافق **1324** هـ، مع العلماء منهم، وتباحثوا في شأن اتخاذ دين من الأديان، يقبله العقل ويكون دينهم الرسمي، فكان ممن حضر هذا الاجتماع "البارون سوتانفو" وزير الداخلية سابقا، فوافق على هذا الاقتراح،وقال: إن أمة متمدنة مثلنا يجب أن تتخذ لها دينا مبنيا على قواعد صحيحة، وأصول لا تدع في النفوس ريبا، ولكن أدع لغيري اختيار الطريقة التي بها نصل إلى المرغوب، فقال الكونت

"كاتسورة" رئيس الوزراء سابقا: إن الرأي عندي هو أننا نرسل إلى الدول المتمدنة خطابات رسمية، ليرسلوا إلينا العلماء والفلاسفة من المتشرعين في دياناتهم، ومتى وصلوا إلينا، عقدنا مؤتمرا دينيا، تدور فيه المناقشة والمباحثة، في فلسفة الأديان، ويشرح كل أهل دين قواعده، ومتى اهتدينا إلى الدين الصحيح اعتنقناه، وجعلناه ديننا الرسمي. فصادق على هذا الرأي، الكونت "جرافوش"،وصرّح بأنه هو الرأي، الذي كان يدور بخلده من قبل أن يفتح باب الكلام في هذا الموضوع.. وكبداية للترغيب في الإسلام كان مما قاله الكونت "جرافوش" أن رجلا من أهل الصين المسلمين يدعي "حسان نيوس" حضر إلى اليابان في شهر أغسطس سنة **1905** م، ومعه كتاب في الديانة الإسلامية، ألفه وفيه بيانات كافية وأدلة منصفة، حتى أني استحسنت هذه الديانة، ولكن ظروف الأحوال – ويعني بذلك حربهم مع الروس – حالت دون أن يسمح لهذا الرجل بنشر كتابه، إذ الأمة اليابانية لم تكن في هذا الوقت بحثت عن دين تعتنقه.

أما الآن وقد عزمتم على عقد مؤتمر ديني يكون جامعا لعلماء وفلاسفة كل دين، فإني أوافق على هذا كل الموافقة، كما أني أرى أن الأمة متى رأتكم شرعتم في أمر كهذا فهي تابعة لرأيكم. قال هذا الكلام لأن حرية الأديان عندهم مطلقة، وكل إنسان يعتنق الدين الذي يرغبه، لذا فقد استحسن الجميع كلامه واقتنعوا في اقتراحه، فرفع الأمر إلى الميكادو، وهو السلطان واسمه ذلك الوقت "متسوهيتو"، وهو الرابع والعشرون من ملوك العائلة الحاكمة، وقد كانت ولادته على **1852** م.

وقد أصدر أمره الرسمي بإرسال الخطابات إلى الدول العظمى، وكان في مقدمتها الدولة العثمانية، وفرنسا، وانجلترا وايطاليا، والولايات المتحدة، وألمانيا، فأرسلت هذه الدول الوفود من رؤساء كل مذهب ودين، ولما كانت الدول الغربية، كلها تعتنق الدين المسيحي، إلا أن منهم كاثوليك وأرثوذكس وبروتوستنت، وقد عقد المؤتمر في أول شهر مارس عام **1906** م الموافق **1324** هـ.

كان في الوفد الإسلامي أناس ذهبوا على حسابهم، ولم تخترهم الدولة العثمانية، وقصدهم الحماسة في الدعوة إلى دين الإسلام، واحد مصري، وآخر تونسي، والتقوا في "هنج كنج" بمسلم صيني اسمه سليمان الصيني،وقد كان الاجتماع في طوكيو، وفي ذلك الوقت كانت حديثة العهد بجعلها عاصمة للمملكة اليابانية، كما تعتبر ذلك الوقت العاصمة مدينة "كيوتو" التي هي مقر للملك، أما طوكيو فهي عاصمة لعائلة الشجن، الذين كانوا ينازعون

الأمبراطور في الملك، وهذه العائلة كانت تحكم باسم الميكادو، وبذلك كان لليابان عاصمتان: إحداهما شرقية، وهي كيوتو عاصمة الميكادو، والثانية غربية وهي طوكيو عاصمة الشجن.

أما اسم طوكيو فيقال: إنه حديث، فقد كانت تسمى "ييدو" فلما صارت عاصمة للمملكة بأجمعها سميت طوكيو، ومعنى هذا في اللغة اليابانية "عاصمة الشمس" وكانت مشهورة بكثرة الزلازل والحرائق، وفي وسط المدينة قنطرة عُملت من أخشاب الأبنوس، وتسمى بالشمس المشرقة. وفي يوكوهاما انضم للوفد المتطوع: حاج روسي اسمه: الحاج مخلص محمود الروسي، حيث التقى بالثلاثة الآنف ذكرهم في يوكوهاما، وكان قد أرسله أحد الأثرياء على نفقته للدعوة الإسلامية في اليابان، بعد ما عرفوا رغبة اليابانيين لاعتناق دين جديد.

أما وفد الدولة العثمانية فهو وفد رسمي، وهؤلاء الأربعة: مصري وتونسي وصيني وروسي، جمع بينهم في الهدف حب الخير، والرغبة في التعريف بالإسلام، والدعوة إليه، واعتبروا أنفسهم مبشرين مسلمين، والرابطة بينهم دينية لا إقليمية، لأن الإسلام دين يوحد بين أبناء الأمم "لا فرق فيه بين عربي وعجمي إلا بالتقوى".

وفي طوكيو وجدوا خامسا قد سبقهم، من علماء وفضلاء الهند المسلمين يُدعى: السيد حسين عبدالمنعم، فجاء إليهم وأظهر لهم الارتياح من حضورهم إلى اليابان، وأخبرهم أنه قدم إلى هذه البلاد على نفقة بعض أفاضل مسلمي الهند للتبشير بالإسلام، وأن له نحو الخمسة شهور، وهو متشوق إلى من يعضده، ويساعده من المسلمين في نشر لواء الإسلام، ولم يجد أحدا، ولذا كان يقاسي متاعب شتى، شأن المنفرد في عمل كبير، فإنه لابد أن يحتاج إلى معين، ثم اتفق هؤلاء الخمسة المتطوعون، على أن يكونوا في دعوتهم وعملهم الإسلامي يدا واحدة، وأن أحسن شيء يقومون به، هو إنشاء جمعية مؤلفة منهم، فاستحسنوا هذا الرأي. ثم قرروا استئجار محل للسكنى أولا، ومقر للجمعية ثانيا، فأخذوا في البحث عن المكان المناسب. وقد حصل تعارف بين زميلهم الهندي: حسين عبد المنعم صدفة، ورجل ياباني في مشاهير التجار يدعى المسيو "جازنيف"،وصفوه بالفطنة والذكاء وكرم الأخلاق، وقد سأله حسين عما إذا كان يستطيع إعانتهم في البحث عن منزل للجمعية والسكنى، فطلب من حسين الالتقاء بزملائه، وعند ما تم شرحوا له قواعد الإسلام، وما هي مهمة جمعيتهم، فلما وقف على حقيقة دين الإسلام، وذاق حلاوته في قلبه، بعد أن شرح الله صدره للإسلام قال: اعتبروني من الآن في عداد

المسلمين، واستبشروا به ولقّنوه الشهادتين وهنأوه على خروجه من الظلمات إلى النور. فكان سادسهم في إنشاء هذه الجمعية.

وقد تبرع بمنزل له مؤثث وكامل التجهير ليكون مقرا للجمعية وسكنا لهم، ثم أحضرلهم خادما من النزلاء الأميركان، ولما شكروه قال: كل هذا تبرعت به، وبما تطلبون مني أيضا إكراما لهذا الدين الذي باعتناقي إياه أصبحت أسعد السعداء.

وقد قرر هؤلاء النفر أن تكون دعوتهم في هذا المبنى على هيئة محاضرات توضح الإسلام وتعاليمه، وألا يذهب أحد منهم للتنقل في البلاد كما يذهب غيرهم من المبشرين، وأن يكون الدخول لمقر الجمعية مجانا وانعقاد الجمعية ليلا، حين يفرغ الناس من أعمالهم. وفي أول يوم لانعقاد الجمعية، أقبل الناس عليهم زمرا حتى غص بهم المكان، وما كانوا يتوقعون هذا الحضور، ومن ترتيبهم أن أعدت خطب باللغة العربية، يترجمها للإنجليزية حسين عبد المنعم الهندي، ويترجمها لليابانية المسيو "جازنيف" الياباني فألقاها أمام الحاضرين، فوجدوا إقبالا من الحاضرين على معرفة هذا الدين وأجابوا على أسئلتهم.

وهكذا في الجلسة الثانية، زاد عدد الحضور، وقد كان هذا الوفد التبشيري بالإسلام، يحرصون على تفهيم الناس، والإجابة على أسئلتهم المكتوبة والشفوية، ويعترفون أن الفضل ليس لهم في اختيار الطريقة السهلة التي استعملوها في تقرير قواعد الإسلام، بل الفضل لله ثم للسلف الصالح من المسلمين جزاهم الله عن الإسلام خير الجزاء، وأن الذي سهّل أيضا هداية القوم إلى دين الإسلام القويم، أن حال اليابانيين الطبيعية ساعدت كثيرا على اعتناق الإسلام، لأنهم قوم عندهم استعداد طبيعي لقبول كل ما يوافق العقل، ونفي كل ما يخالفه، مهما أثبتوه بجميع أنواع السفسطة والمواربة، إذ كل ما زدناهم معرفة بدين الإسلام زاد عدد الذين يعتنقونه منهم، حيث انتشر صيت هذه الجمعية في طوكيو انتشارا واسعا.

وفي مدة وجيزة اعتنق الإسلام على أيدي هؤلاء الخمسة وزميلهم الياباني في الجمعية نحو اثني عشر ألف رجل، منهم كثير من الحكام والتجار المعتبرين، وذوي الحيثيات.. وقد عقدت هذه الجمعية نحو ثمانية عشرة مرة، وفي كل مرة كان يعتنق الإسلام خلق كثير،ولما حان سفر المصري والتونسي والهندي رغب الروسي والصيني البقاء ستة شهور حتى يبذلا جهدا في التبشير بالدين الإسلامي.

ولم يفارق الجميع إلا بعد أن وضعوا معلومات مكتوبة ومترجمة بدين الإسلام وتعاليمه وكفاؤهم خيرا بحسن قبول اليابانيين للإسلام،وفي هذه الأيام صدر تقرير عن مدى انتشار الإسلام الواسع في اليابان.

ضربنا بسيفه: جاء في كتاب مروج الذهب للمسعودي أن الشعبي قال: لما انهزم ابن الأشعث ضاقت بي الأرض، وكرهت ترك عيالي وولدي، فلقيت يزيد بن أبي مسلم، وكان لي صديقا وكانت الصداقة تنفع عنده، فقلت له: قد عرفت الحال بيني وبينك، وقد صرنا إلى ما ترى قال: يا أبا عمرو إن الحجاج لا يكذب ولا يعوى ولا ينبح ولكن قم بين يديه، وأقر بذنبك واستشهد بي ما شئت.

فوالله ما شعر الحجاج، الا وأنا ماثل بين يديه، فقال:أعامر؟ قلت:نعم، أصلح الله الأمير، قال:ألم أقدم العراق، فأحسنت اليك، وأدنيتك وأوفدتك على أمير المؤمنين واستشرتك، قلت: بلى أيها الأمير قال: فأين كنت من هذه الفتنة؟ قلت: استشعرنا الخوف، واكتحلنا السهر، وأحزن بنا المنزل، وأوحش بنا الجناب، وفقدنا صالح الإخوان، وشملتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء، وهذا يزيد بن أبي مسلم قد كان يعرف عذري، وكنت أكتب إليه.

فقال: صدق أصلح الله الأمير، قد كان يكتب إلي بعذره ويخبرني بحاله، فقال الحجاج: فهذا الأحمق ضربنا بسيفه، ثم جاءنا بالأكاذيب، كان وكان، انصرف إلى أهلك راشدا (2 : 573). وجاء في زهر الآداب للحصري القيرواني أن أيوب بن الفرية دخل على الحجاج، وكان فيمن أسر من أصحاب عبد الرحمن بين الأشعث، فقال له: ما أعددت لهذا الموقف، قال: ثلاثة صفوف كأنها ركب وقوف، دنيا وآخرة ومعروف، فقال له الحجاج: بئسما منّيت به نفسك يا ابن الفرية، أتراني ممن تخدعه بكلامك وخطبك، والله لأنت أقرب إلى الآخرة من موضع نعلي هذه، قال كليني عثرتي،وأسفني ربقي، فإنه لابد للجواد من كبوة، وللسيف من نبوة،وللحليم من صبوة. فقال: أنت الى القبر أقرب منك إلى العفو، ألست القائل وأنت تحرض حزب الشيطان، وعدو الرحمن، "تغدوا بالحجاج قبل أن يتعشى بكم" ، ثم قدم فضرب عنقه [4 : 49]

* * *

تفنيد المزاعم:

سَقَطَاتُ هَشِيمِ الـمُحتَظَر

كتاب الشيخ عداب الحمش في المهدي المنتظر

(10)

بقلم: الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي
مكة المكرمة

خمس وعشرون سقطة في تحقيقه "النموذجي" للحديث الأول:

الحديث الأول في كتابي هو: حديث علي رضي الله عنه مرفوعا: المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة.

ولقد ذكرت فيما سبق أن الشيخ نقل كلامي كاملا في تخريج وتحقيق هذا الحديث فجاء في كتابه في تسع صفحات إلا بضعة أسطر. ثم أراد أن يبرهن بقرائه أن في كلامي تطويلا مملا من دون فائدة كبيرة فخرج هذا الحديث نفسه "بطريقة علمية مختصرة" في زعمه فجاء في تسع صفحات كاملة، وهذا نموذج للاختصار في مفهوم الشيخ ! !

وقد فصل الكلام في هذا الحديث باعتباره عملا نموذجيا يرى الشيخ أنه على طريقة المحدثين التي ينبغي أن يقتفيها طلبة الحديث في تحقيقاتهم. ولكن هذا العمل النموذجي نفسه مليء بالأخطاء العلمية والمغالطات التي وقع فيها الشيخ، وإليك أهمها:

1 – لقد ورد هذا الحديث بطرق كثيرة عن ياسين العجلي، درست طريقا واحدا منها في كتابي.ثم ترجمت لياسين العجلي فمن فوقه، وبينت أن ياسين العجلي لا بأس به.

وقال الشيخ عداب في ذكر ياسين هذا، إن الذهبي قال في الكاشف: "ضعيف".

ولم يحسن الشيخ قراءة ما في الكاشف، ففيه: "ضُعِّفَ" (3 / 218 طبعة دار الكتب العلمية 1403 هـ) وشتان ما بين "ضُعِّف" و "ضعيف" مثل ما بين "وُثِّق" و "ثقة". فالتمريض – أي البناء للمجهول – في هذه التعبيرات هو تخفيف لأمر ذلك التضعيف، وهذا أسلوب معروف للذهبي وخاصة في كتابه "الكاشف".

وياسين العجلي هذا وثقه عدد من كبار أئمة الجرح والتعديل، فقال:

1 – ابن معين: ليس به بأس. (تاريخ ابن معين رواية الدوري 3 / 98، الكامل لابن عدي 7 / 2643، تهذيب الكمال 11 / 173، ميزان الاعتدال 4 / 359، تهذيب التهذيب 11 / 173، التذكرة للحسيني 4 / 1859).

وابن معين إذا قال في راو: "ليس به بأس" فهو ثقة عنده. كما صرح هو بنفسه، ونص عليه العلماء. (ينظر: مقدمة ابن الصلاح ص 111، فتح المغيث 2 / 117)

2 – قال فيه ابن معين: صالح. (تهذيب الكمال 31 / 182، وتهذيب التهذيب 11 / 173)

3 – قال أبو زرعة: لا بأس به. (الجرح والتعديل 9 / 312، تهذيب الكمال 31 / 182، تهذيب التهذيب 11 / 173)

4 – قال عثمان بن أبي شيبة: ثقة. (الثقات لابن شاهين ص 266)

5 – قال الفسوي: لا بأس به. (المعرفة والتاريخ 3 / 54)

6 – وقد ذكره ابن شاهين في الثقات، وذكر فيه قول عثمان بن أبي شيبة. (ص 266) ثم لم يذكره في الضعفاء، ولا في المختلف فيهم فدل ذلك أنه ثقة عنده.

فهؤلاء خمسة من الأئمة يذهبون إلى توثيقه، أما شبهة التضعيف فقد جاءت مما ذكره ابن عدي في الكامل (7/ 2643) رواية عن الدولابي عن البخاري أنه قال: "ياسين العجلي عن ابراهيم بن محمد بن الحنفية فيه نظر". وما ذكره العقيلي عن آدم بن موسى قال: سمعت البخاري قال: ياسين بن سيار العجلي كوفي في حديثه نظر. (الضعفاء 4 / 465)

وقد راجعت كتب البخاري الثلاثة: (التاريخ الكبير، والتاريخ الأوسط، والضعفاء الصغير) فلم أجد هذه النصوص في أحد منها في ترجمة ياسين العجلي.

نعم ذكر البخاري في ترجمة إبراهيم بن محمد بن الحنفية هذا الحديث وقال: "وفي إسناده نظر" والعقيلي وابن عدي لم يترجما لإبراهيم بن محمد بن الحنفية في كتابيهما. فذكرا قول البخاري هذا في ترجمة ياسين العجلي بشيء من الاختصار. والله أعلم.

والبخاري لم يضعف أحدا منهما في شيء من كتبه، وقوله: "وفي اسناده نظر" لا يعني بالضرورة تضعيف الراوي ولا الرواية. وسيأتي بيان وجه النظر هذا إن شاء الله. ولو كان البخاري جازما في تضعيف ياسين العجلي لذكر ذلك في ترجمته. لأنه ترجم بعده مباشرة لياسين بن معاذ الزيات فقال: "يتكلون فيه، منكر الحديث" فلو كان يرى تضعيف العجلي أيضا لصرح بذلك كما صرح في ترجمة سميه هذا.

فإذا تعارض النقل عن البخاري فلا شك أن ما في كتابه هو الراجح، وصنيع العقيلي وابن عدي هذا – أعني عدم ذكرهما إبراهيم بن محمد بن الحنفية، في كتابيهما – دليل على

أنهما لا يعتبران قول البخاري "في إسناده نظر" تضعيفا للراوي. إذ لو كان كذلك لكان الأولى أن يذكرا إبراهيم بن محمد بن الحنفية في كتابيهما، لا ياسين العجلي.

على أن الشيخ عداب قد كفانا مؤنة هذا التوضيح لأنه صرح في (ص 310 س 20، 21): أن ابن عدي والذهبي لم يريا فرقا بين قول البخاري: "في إسناده نظر" وقوله :" فيه نظر" وهذا تصريح من الشيخ بأن ابن عدي أو شيخه قد روى قول البخاري بالمعنى وعن ابن عدي انتشر في كتب المتأخرين. ونص قول البخاري هو: "في إسناده نظر".

وقد صرح ابن عدي في كتابه أن قول البخاري: "في إسناده نظر" لا يعني تضعيف الراوي ولا الرواية، وسيأتي ذلك فيما بعد إنشاء الله تعالى.

قلت: وكذلك الحال بالنسبة للعقيلي الذي روى عن البخاري: في حديثة نظر.

2 – قال الشيخ عداب: وياسين بن شيبان العجلي لا يُعرف إلا بهذا الحديث، نص على ذلك البخاري وابن عدي. (ص 307)

أقول: البخاري لم يترجم لياسين العجلي في "الضعفاء الصغير" ولا في "التاريخ الصغير" (أو في التاريخ الأوسط كما طبع اسمه فيما بعد) وإنما ترجم له في التاريخ الكبير (8 / 429) ونصه فيه: "ياسين العجلي عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية، روى عنه أبو نعيم والعكلي، يعد في الكوفيين"، فليس في كتب البخاري الثلاثة أي نص أن ياسين العجلي لا يعرف إلا بهذا الحديث، ولكن الشيخ أحال عند آخر هذه الفقرة من كلامه إلى التاريخ الكبير (1 / 317 و 8 / 429) وإلى الكامل (7 / 185) . وهذا يوهم القارئ أن الشيخ أخذ كل ما في هذه الفقرة – ومنه هذا الكلام الذي ذكرته هنا. ولكنه لا يوجد في هذه المواضع لا في التاريخ الكبير ولا في الكامل لابن عدي. نعم، قال ابن عدي من كلامه – لا من كلام البخاري – "وياسين العجلي هذا يعرف بهذا الحديث".

فالشيخ – سامحه الله – عزا إلى كتاب البخاري ما ليس فيه. وروى كلام ابن عدي بالمعنى فحرفه، إذ شتان ما بين أن يقال: "يعرف بهذا الحديث، وأن يقال: "لا يعرف إلا بهذا الحديث" فالجملة الأولى تفيد أنه اشتهر بهذا الحديث، ولا يعني أنه ليس له إلا هذا الحديث كما يفهم من الجملة الثانية.

ولكن الشيخ هيمنت عليه فكرة أن ياسين العجلي ليس له إلا هذا الحديث فنسبها إلى البخاري وابن عدي، دون أن يتأكد من وجودها في كتابيهما. [1]

وياسين العجلي هذا قد روى عنه عدد من كبار الأئمة مثل: وكيع بن الجراح، وسفيان الثوري، وأبونعيم الفضل بن دكين، وعبد الله بن نمير، وأبي داود الحضري، والقاسم بن مالك المزني وغيرهم.

وصرح الراوي عنه أبونعيم الفضل بن دكين — وهو من شيوخ البخاري الذين أكثر عنهم البخاري (التهذيب 8 / 271) بقوله: كان يجالسنا عند الثوري (الكامل 7 / 2643) وقال يحيى بن يمان: سمعت سفيان يسأل ياسين عن هذا الحديث. (المصدر السابق) فإذا كان الرجل من جلساء أمثال سفيان الثوري فهذه قرينة واضحة أنه من أهل العلم. وهل يصبح من جلسائه من أجل حديث واحد؟ وهل من المعقول أنه لم يستفد شيئا من مجالس الثوري؟ ولكن من الممكن أنه اشتغل فيما بعد بأعمال أخرى، ولم يتفرغ للرواية والعلم فلم تدون مروياته، وإلا فكيف يتفق على توثيقه أمثال ابن معين وأبي زرعة وعثمان بن أبي شيبة وغيرهم.

فإن لم نجد نحن — لقلة علمنا — حديثا آخر لياسين العجلي، فهل نستطيع أن نجزم أن ابن معين الذي كتب بيده ألف ألف حديث (مليون حديث) وأبوزرعة الرازي الذي شهد له الإمام أحمد بأنه يحفظ ستمائة ألف حديث، أيضا ما كانا يعرفان له غير هذا الحديث، المسألة فيها نظر !!!

ملاحظة: وقع في كتابي (1 / 156) فيما نقلته عن الشيخ الغماري: "قال ابن عدي: وقال البخاري: لا أعلم له حديثا غير هذا". وذكره المزي في تهذيب الكمال (31 / 182) عن البخاري دون ذكر ابن عدي. وعن المزي ذكره ابن حجر في التهذيب (11 / 173) فيما اختصره من المزي.

وقد سبق أن ذكرت أنني لم أجد هذا الكلام في كتب البخاري الثلاثة: – الضعفاء الصغير، والتاريخ الصغير، والكبير –. ولم أجده أيضا في المطبوع من الكامل لابن عدي (7 /

---

[1] من غرائب الطرف أن محقق كتاب "الضعفاء" للعقيلي لما قرأ فيه أن البخاري قال: "في حديثه نظر" علق عليه قائلا: هكذا العبارة عند الذهبي في الميزان والذي في التاريخ الكبير (4، 2، 429): "لا يتكلمون فيه" وهذا الكلام ليس له أي وجود في ترجمة ياسين العجلي في التاريخ الكبير، إنما قال البخاري في ترجمة ياسين بن معاذ الزيات — بعد ترجمة ياسين العجلي مباشرة — "يتكلمون فيه، منكر الحديث" فنسبه المحقق الفاضل إلى ترجمة ياسين العجلي، وحذف "منكر الحديث" وأضاف من عنده "لا" فقال: لا يتكلمون فيه" وعزاه إلى كتاب البخاري. وكل هذا باسم التحقيق والتاليف، سامحه الله.

2643). ولا في مختصره للمقريزي (ص 810) ،وحيث إن المزي ذكر قول البخاري هذا في نهاية ترجمته فقال: وقال البخاري: فيه نظر، ولا أعلم له حديثا غير هذا، روى له ابن ماجه، فقد تكون الجملة الأخيرة: "لا أعلم له حديثا غير هذا، روى له ابن ماجه" من كلام المزي، والله أعلم.

ويؤيد هذا الاحتمال أن الذهبي لم يذكر هذه الجملة في ترجمة ياسين العجلي في الميزان (4 / 359) مع أنه استفاد هذه الترجمة من المزي نفسه حيث قال في آخرها "نقله المزي".

3 – قال الشيخ عداب في سياق نقده لياسين العجلي: "وقال الذهبي في الكاشف: ضعيف. وساق في ترجمته من الميزان هذا الحديث دليلا على ضعفه، والا فَلِمَ ترجمه فيه، وليس له سوى هذا الحديث" (ص 307).

قلت: أما قول الشيخ: "قال الذهبي في الكاشف: "ضعيف" فقد سبق أن ذكرت أن الشيخ لم يحسن قراءة كلام الذهبي. وإنما قال الذهبي: "ضُعِّفَ".

أما قول الشيخ: وساق في ترجمته من الميزان هذا الحديث دليلا على ضعفه وإلا فلم ترجمه فيه؟

أقول: هذا الكلام من مثل الشيخ عداب لا يخلو من أمرين، فإما أن الشيخ يجهل حتى أبجديات علم الجرح والتعديل، أو أنه يقدم لقرائه معلومات غير صحيحة ويخفي عنهم الحقائق، وذلك لأن الدارسين لهذا العلم يعلمون أن منهج الإمام الذهبي في كتابه الميزان أنه يذكر فيه كل من تكلم فيه ولو بأدنى تليين. وقد بين الإمام الذهبي منهجه في مقدمة كتابه "الميزان" فقال:

" .... فيه من تكلم فيه مع ثقته وجلالته بأدنى لين، وبأقل تجريح، فلولا أن ابن عدي أو غيره من مؤلفي كتب الجرح ذكروا ذلك الشخص لما ذكرته لثقته، ولم أر من الرأي أن أحذف اسم أحد ممن له ذكر بتليين ما في كتب الأئمة المذكورين خوفا من أن يتعقب علي، لا أني ذكرته لضعف فيه عندي." (ميزان الاعتدال 1 / 2)

فهل خفي هذا على الشيخ عداب ؟؟ حتى يسأل فلم ترجمه الذهبي في الميزان وليس له سوى هذا الحديث.

وفي هذا النص إيضاح كامل من الحافظ الذهبي بأنه ليس كل من ذكره في الميزان ضعيفا عنده، وقد ذكره الذهبي نحو هذا المعنى في مواضع كثيرة من الميزان، وأكد على ذلك في آخر الميزان فقال: تم الكتاب والحمد لله على نعمه، ... فأصله وموضوعه في الضعفاء، ومنه خلق –

كما قدمنا في الخطبة – من الثقات وذكرتهم للذب عنهم ولأن الكلام فيهم غير مؤثر ضعفا (4 / 616)

4 – قال الشيخ عداب (ص 309): "في صنيع الشيخ البستوي نظر من جهات شتى، الجهة الأولى: قوله: وهما صدوقان اعتمادا على قول الحافظ في ياسين العجلي: لا بأس به ... غير صحيح البتة".

قلت: لقد سبق أن ذكرت أن ياسين العجلي وثقه خمسة من كبار أئمة الجرح والتعديل وهم: ابن معين، وأبوزرعة، وعثمان بن أبي شيبة والفسوي، وذكره ابن شاهين في الثقات، فقولي إنه "صدوق" ليس اعتمادا على الحافظ ابن حجر، بل ما قاله ابن حجر هو نفسه خلاصة لأقوال الأئمة السابقين،بل مثله أولى أن يقال فيه: ثقة، لولا النص المختلف في لفظه المنقول من الإمام البخاري رحمه الله، فقول الشيخ عداب "اعتمادا على قول الحافظ" فيه إبهام بأنه لم يوثقه أحد قبل الحافظ ابن حجر: وهذا هو الذي "غير صحيح البتة" بل قد صرح الشيخ بذلك في ص (310) فقال: "فالاحتجاج بقول الحافظ في مقابلة جميع أولئك الحفاظ غاية ما يتصور الجهل به" أقول نعم، ما قاله الشيخ هو غاية ما يتصور الجهل به في مقابلة الحفاظ الذين وثقوه.

5 – يواصل الشيخ عداب قوله فيقول: فمن يقول فيه ابن حبان "منكر الحديث يجب التنكب عما انفرد به من الروايات"، فلا يمكن أن يجوز القنطرة بحال. (ص 309)

قلت: تمام كلام ابن حبان ذكره الشيخ عداب قبل صفحتين من هذا الموضع أي في ص (307) إذ قال:"قال ابن حبان: منكر الحديث على قلة روايته، يجب التنكب عما انفرد به من الروايات، وان اعتبر معتبر بما وافق الثقات من غير أن يحتج به لم أر بذلك بأسا". انتهى (وهو في المجروحين لابن حبان 3 / 143)، وهنا عدة أمور تحتاج إلى النظر فيها:

أولا: حيث إن الأخ عداب الحمش متخصص في منهج ابن حبان في الجرح والتعديل فإني أترك تفسير قول ابن حبان له، وذلك لأنه كرر في هذه الصفحات أكثر من مرة ان ياسين العجلي ليس له سوى هذا الحديث الواحد فماذا يعني قول ابن حبان: "يجب التنكب عما انفرد به من الروايات" وقوله "بما وافق الثقات". يستطيع أن يفهم كل طالب علم من هذا أن هذا الراوي له روايات عدة انفرد ببعضها، ووافق الثقات في الأخرى، فإما أن يراجع الشيخ عداب عن أقواله المتكررة أنه ليس له إلا هذا الحديث الواحد تقديرا واحتراما لابن حبان أو أن يعترف بأن ابن حبان قد بالغ في الكلام فيه، وذلك لأن ابن حبان معروف عند العلماء بأنه

متساهل في التوثيق ومتعنت في الجرح، حتى قال الإمام الذهبي إن: ابن حبان ربما جرح الثقة حتى كأنه لا يدري ما يخرج من رأسه. (الميزان 1 / 127) وينظر أيضا لانتقادات الذهبي وغيره من العلماء تعنت ابن حبان (الميزان 1/ 29، 1 / 436، 2 / 185، 2 / 355، 3 / 121،والقول المسدد ص 38، وهدي الساري ص 404، ومواضع أخرى)

ولذلك لم يذكر ابن حبان أي رواية لياسين هذا مما أنكر عليه. وهذا لا يغض من منزلة ابن حبان رحمه الله، كما قال ابن عباس ومجاهد رحمهما الله: ليس أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم. (جزء القراءة خلف الإمام للبخاري ص 32، حديث 43، وأسنده البخاري أيضا في جزء رفع اليدين ص 182 ح 107)

ثانيا: على الرغم من أن هذا القول موجود في المطبوع من كتاب المجروحين لابن حبان، لكن لم ينقله المتأخرون من أمثال ابن الجوزي والمزي والذهبي وابن حجر والحسيني رغم حرصهم على ذكر مثل هذه الانتقادات في كل راو، ولا سيما راو مقل مثل ياسين العجلي هذا. والله أعلم. فهل سقط ذلك من نسخهم، أو أنهم لم يتلفتوا إلى ذلك لتوثيق عدد من الأئمة لياسين هذا ولما في قول ابن حبان من التعنت، والله أعلم. وقد ذكر الشيخ في الحاشية أن هنا خطأ وقع في المطبوع من المجروحين ولكنه لم يوضح ما هو الخطأ.

6 – في الصفحة نفسها (ص 307) ذكر الشيخ العداب قول الإمام ابن حبان المذكور آنفا وفيه: "وان اعتبر معتبر بما وافق الثقات من غير أن يحتج به لم أر بذلك بأسا". فعلق عليه في الحاشية قائلا: "يستخدم ابن حبان هذا المصطلح، "فإن اعتبر به معتبر"، بمعنى أخذ العبرة لمتعجب، وبالمعنى المعروف من عملية السبر للبحث عن المتابع والشاهد، وسياق كلامه يحدد المراد."

وهكذا ذكر الشيخ احتمالين لمعنى كلام ابن حبان للقارئ العادي دون أن يحدد ما يفهمه هو من سياق الكلام هنا. قد ظن القارئ العادي غير المتخصص في علم الحديث أن صاحب الترجمة بلغ من الضعف إلي حيث يتعجب منه. والشيخ عداب خير من يعرف أن ابن حبان لا يقصد هذا في هذا الموضع بل أنه يقصد أن الراوي صالح للاستشهاد فان اعتبر حديثه ووجد له شاهد أو متابع فيقبل حديثه حتى في نظر ابن حبان، وإلا ما معنى قوله "إذا وافق الثقات"؟ وهل انه يتعجب منه إذا وافق الثقات، ولا يتعجب إذا خالف الثقات؟ أليس هذا غاية ما يتصور الجهل به.

7 – قال الشيخ عداب في الصفحة نفسها (ص 309): "فكيف إذا انضم إلى هذا قول البخاري والعقيلي وابن عدي: في إسناده نظر".

أقول: سامح الله الشيخ، فلم يقل العقيلي ولا ابن عدي قط: "في إسناده نظر" وإنما ذكرا قولا للبخاري بغير هذا اللفظ واختلف نصه عندهما كما سبق فلم يرو أحد منهما عن البخاري أنه قال: "في إسناده نظر" وكان المفروض أن يكون الشيخ دقيقا على الأقل في مجال الجرح والتعديل، وهناك فرق كبير بين قوله: "فيه نظر" أو "في حديثه نظر" وقوله: "في إسناده نظر".

وإذا كان ابن عدي روى عن البخاري أنه قال في ياسين العجلي: فيه نظر. فإنه روى عن ابن معين أيضا أنه قال فيه: "ليس به بأس"،فإذا كان مجرد رواية التضعيف تضعيفا فلم لا تكون رواية التوثيق توثيقا، فنقول إن ابن عدي وثقه لأنه روى قول ابن معين: "ليس به بأس"، وهو في مصطلح ابن معين توثيق للراوي كما سبق. وهكذا يصح أن يقال إن ياسين العجلي وثقه أيضا الدوري، وابن أبي حاتم. وابن شاهين، وابن عربي، والمزي، والذهبي، والحسيني، وابن حجر، وذلك لأنهم نقلوا قول ابن معين أو غيره ممن وثقه، فهل قول "هؤلاء الأئمة كلهم يترك لمجرد قول ابن حبان" الذي لم يقبله الشيخ عداب نفسه إلا في جزء منه، إن الذي وثقه كل هؤلاء الأئمة لا يمكن أن "يرمى تحت القنطرة بمجرد جرة قلم الشيخ عداب ويحكم عليه بأنه مجهول"، فإن جهله الشيخ عداب بعد معرفة هؤلاء الأئمة فليبك على جهله.

8 – قال الشيخ عداب في (ص 309 نفسها) في ترجمة إبراهيم بن محمد بن الحنفية: "ولم يترجمه ابن حبان في الثقات كما ذكر غير واحد".

قلت: هذا من الأمثلة الغريبة التي ذكرتها في بدايةهذا البحث من ضعف قدرة الشيخ على البحث والتتبع وتسرعه في الإنكار على غيره، والغريب أن الشيخ متخصص في منهج ابن حبان في الجرح والتعديل، ومع ذلك لم يستطع أن يصل إلى ترجمة إبراهيم بن محمد بن الحنفية في كتاب الثقات له فنفى وجودها فيه، وهي موجودة فيه في الجزء السادس، الصفحة الرابعة (6 / 4) من طبعة حيدرآباد، ونصه فيه: إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي، ابن محمد بن الحنفية، أخو الحسن وعبد الله، يروي عن أبيه، روى عنه محمد بن إسحاق، وعمر مولى غفرة". (يتبع)

* * *

تصحيح المفاهيم

تغسيل فاطمة بنت نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نفسها قبل موتها

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

*** ذكر القصة:**

عن أم رافع سلمى – وكانت مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنة لفاطمة [1]، قالت: اشتكت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمرضتها، فأصبحت يوما كأمثل ما رأيتها في شكوتها – وكان علي بن أبي طالب خرج لبعض حاجته –، فقالت فاطمة: يا أمة! سلمى! اسكبي لي ماء (أو قالت: اسكبي لي غسلا). قالت: فسكبت لها غسلا، فقامت، فاغتسلت كأحسن ما كنت أراها تغتسل، ثم قالت: يا أمة! ناوليني ثيابي الجدد. قالت: فناولتها، فلبستها، ثم جاءت إلى البيت الذي كانت فيه، فقالت لي: قدِّمي لي فراشي وسط البيت. قالت: فقدمته، فاضطجعت، ووضعت يدها اليمنى تحت خدها، ثم استقبلت القبلة، فقالت: يا أمة! إني قد اغتسلت، وإني مقبوضة الآن، فلا يكشفني أحد [2]. قالت: فقبضت مكانها. قالت: فدخل علي بن أبي طالب، فأخبرته، فقال: والله، لا يكشفها أحد. فاحتملها، ودفنها بغسلها ذلك.

*** شهرتها:**

هذه القصة مشهورة، فلا يسلم كتاب من كتب الصحابة التي ترجمت لفاطمة رضي الله عنها وأرضاها منها، ويكثر الشيعة من ترديدها، ويطيرون بها، ويرددها كثيرا غير واحد

---

[1] ذكر ذلك جل من ترجم لها، من مثل:

ابن حجر في "الإصابة" (4 / 333)، وابن سعد في "الطبقات" (1 / 497)، وحماد بن إسحاق في "تركة النبي صلى الله عليه وسلم" (ص 109)، وابن الجوزي في "تلقيح فهوم أهل الأثر" (ص 38)، والقسطلاني في "المواهب اللدنية" (1 / 217 و 218) وابن كثير في "البداية والنهاية" (5 / 328)، وابن القيم في "زاد المعاد" (1 / 116)، والذهبي في "تجريد أسماء الصحابة" (2 / 277)، والنووي في "تهذيب الأسماء واللغات" (1 / 28)، وقال: "سلمى –بفتح السين –أم رافع"، والسخاوي في "الفخر المتوالي" (رقم 197 –وانظر تعليقنا عليه)، والبكري في "تاريخ الخميس" (2 / 180)، وفيه: "يقال: كانت مولاة لصفية عمته، وهي زوجة أبي رافع، وداية فاطمة الزهراء، وغاسلتها مع أسماء بنت عميس، وقابلة إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم" انتهى.

قلت: وهي قابلة بني فاطمة كلهم.

انظر: "الروض الأنف" (1 / 216)، وانظر في ترجمتها أيضا: "أسد الغابة" (5 / 478)، و "طبقات ابن سعد" (8 / 164)، و "الاستيعاب (4 / 321)، و "الإصابة" (4 / 333 – 449)، و "المعجم الكبير" (34 / 297)، و "من وافقت كنيته كنية زوجه" لابن حيّويه (ص 77 – بتحقيقي).

[2] وقعت هذه العبارة في بعض المصادر هكذا: "فلا يكشفن لي أحد كنفا"، و (الكنف): الثوب، وقد تصحفت في بعض المصادر كـ "طبقات ابن سعد" وغيره إلى "كتفا" بالتاء بدلا من النون !!

من وعّاظهم وخطبائهم، وكذا يفعل بعض من أهل السنة ممن لا يفلي القصص ويميز بين صحيحها وسقيمها، ولا يلتفت إلى حال الرواة.

ونظرة عجلى في الكتب المذكورة في الهامش السابق تؤكد لك شهرة هذه القصة، وهي مشهورة أيضا في كتب الفقه، إذ يذكرها بعض المانعين من تغسيل الزوج زوجته، وستأتي الإشارة إلى ذلك إن شاء الله تعالى.

* تخريجها:

روى هذه القصة عن إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق عن عبيد الله بن علي بن أبي رافع عن أبيه عن أمه سلمى به، جمع بألفاظ مقاربة، وهذا التفصيل:

أولا: عبد العزيز بن عبد الله العامري [3] (وهو ثقة)، وعنه اثنان متكلم فيهما:

الأول: النضر بن سلمة، وعنه الدولابي في "الذرية الطاهرة" (رقم **215**)، والنضر، قال عنه أبوحاتم: "كان يفتعل الحديث"، وقال ابن حبان: "لا تحل الرواية عنه إلا للاعتبار"، وقال أحمد بن محمد بن عبد الكريم الوزان: "عرفنا كذبه في المذاكرة".

وانظر "الميزان" (**4** / **256 – 257** / رقم **9063**).

والآخر: أحمد بن الخليل القومسي، قال ابن حيويه في "من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة" (ص **72** – بتحقيقي): "ثنا عمي ثنا أحمد بن الخليل به"، وساقه باللفظ الذي قدّمناه، وأحمد هذا ليس بأحسن حالا من متابعه النضر، فقد ضعّفه أبوزرعة، ونسبه أبوحاتم إلى الكذب، وله مناكير.

وانظر له – غير مأمور – : "الجرح والتعديل" (**1** / **1** / **50**)، و "التهذيب" (**1** / **25**)، و "الميزان" (**1** / **96**)، و "اللسان" (**1** / **167**).

ثانيا: يزيد بن هارون (وهو ثقة)، وعنه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (**8** / **27**) بلفظ مقارب جدا للفظ السابق، ولكن وقع في مطبوع "الطبقات": "عن محمد بن إسحاق عن علي بن قلان بن أبي رافع عن أبيه عن سلمى"!

---

[3] انظر ترجمته في "تهذيب الكمال" (**18** / **160**).

ثالثا: أبو النضر هاشم بن القاسم (وهو ثقة)، وعنه أحمد في "المسند" [4] (6 / 461 – 462)، و "فضائل الصحابة" (2 / 725 / رقم 1243)، ومن طريقه ابن الأثير في "أسد الغابة" (5 / 590)، وذكر نحوه بزيادة: "فجاء علي فأخبرته"، وهذه الزيادة في "الفضائل" كما صرح به محب الدين الطبري في "ذخائر العقبى" (54)، وذكرها الزيلعي في "نصب الراية" (2 / 250)، وابن حجر في "القول المسدد" (ص 55) وأطلقا العزو، فظنه الساعاتي في "الفتح الرباني" (22 / 96) في "المسند"، فقال: "وهذه الجملة ليست موجودة في النسخة التي عندي، فلعله – أي ابن حجر – وجدها في نسخة أخرى" ! !

قلت: بل هي في كتاب آخر، وهو "الفضائل"، وهي عند ابن الأثير من طريق أحمد، وكذا في "الإصابة" (4 / 379).

رابعا: محمد بن جعفر الوركاني [5] (ثقة)، وعنه أحمد بن حنبل في "المسند" (6 / 462)، وابنه عبد الله عاليا في "زوائده على فضائل الصحابة" (رقم 1244)، فذكر مثله نحوه.

خامسا: مصعب بن عبد الله الزبيري (صدوق، عالم بالنسب)،وعنه محمد بن يونس (وهو الكديمي، ضعيف)، وعنه عبد الله بن أحمد في "زوائده على فضائل الصحابة" (رقم 1074).

---

[4] وقع في "مسند أم سلمى"، وصوابه: سلمى، قال ابن عساكر في "الجزء الذي رتب فيه أسماء الصحابة المذكورين في "مسند أحمد" على الحروف" (ص 164): "والصواب عن أمه سلمى"، وقال (ص 159): "سلمى وهي زوج أبي رافع"، وذكر الإمام أحمد لها بعد هذا الحديث حديثين في "المسند"، وسماها سلمى، قال ابن القطان في "كتابه": "أبو رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم، احتوشته امرأتان، كل واحدة منهما اسمها سلمى، إحداهما أمه، والأخرى زوجته، فأمه سلمى مولاة صفية بنت عبد المطلب، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت خادما له، روى جارية بن محمد عن عبيد الله بن أبي رافع عن جدته سلمى، قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "بيت لا تمر فيه جياع أهله"،وأما زوجته سلمى، فهي مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، شهدت خيبر، وولدت عبيد الله بن أبي رافع كاتب علي رضي الله عنه" انتهى.

وفي حاشية عليه: "ولأبي رافع امرأة أخرى اسمها سلمى تابعية، لا صحبة لها، وروى عنها القعقاع بن حكيم، ذكرها ابن حبان في "الثقات" انتهى.

كذا في "نصب الراية" (2 / 250)، وباختصار في "التلخيص الحبير" (2 /143)، و "تعجيل المنفعة" (563)، وتصحف في "ذخائر العقبى (53) اسمها إلى "أم سلمة" وهو خطأ، ثم رأيته على الجادة في الطبعة المحققة فيه (ص 103) بتحقيق أم أكرم البوشي.

[5] انظر ترجمته في "تهذيب الكمال" (24 / 580).

سادسا: عاصم بن علي، كما عند ابن الجوزي في "الموضوعات" (3 / 276 – 277)، و "الواهيات" (1 / 260 – 261 / رقم 419)، و "التحقيق" (2 / 1282 – 1283 – مع التنقيح").

سابعا: الحكم بن أسلم، كما عند الجورقاني في "الأباطيل والمناكير" (2 / 58 – 59)، وقال: "ثنا إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع عن أمه سلمى"، فخالف من قبله، بقوله: "عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع"!

ثامنا: نوح بن يزيد، كما عند الجورقاني في "الأباطيل والمناكير" (2 / 59 / رقم 448)، وقال قبله: "رواه نوح بن يزيد عن إبراهيم بن سعد، فخالف فيه الحكم بن أسلم، ونوح بن يزيد والحكم بن أسلم كانا يميلان إلى التشيع".

قلت: نوح بن يزيد، هو المؤدب [6] ، وهو صدوق ثقة من أصحاب إبراهيم بن سعد، لا نعلم أحدا رماه بالتشيع.

والحكم بن أسلم، قدري، بصري، صدوق، كما في "الجرح والتعديل" (1 / 2 / 114 / رقم 528)، وعزاه ابن الأثير لأبي نعيم ولأبي موسى المديني.

وهذا الإسناد ضعيف، مداره على عبيد الله بن علي بن أبي رافع عن أبيه عن أمه سلمى، وعبيد الله يقال له: عبادل، صدوق، ذكره ابن حبان في "ثقاته"، وقال ابن معين: "لا بأس به"، وقال أبوحاتم: "لا بأس بحديثه".

انظر: "الجرح والتعديل" (2 / 2 / 328)، و "التهذيب" (7 / 37)، و"الميزان" (3 / 14)، ولكن لا يسلم من مقال، كما سيأتي.

أما أبوه، فمجهول، وهو المراد من قول الهيثمي في "المجمع" (9 / 210 – 211): "وفيه من لم أعرفه".

---

[6] كذا عيّنه ابن عبد الهادي في "تنقيح التحقيق" (2 / 1284)، فأصاب، بينما قال الذهبي في "مختصر الأباطيل والموضوعات" (ص 115)، و "أحاديث مختارة من موضوعات الجورقاني وابن الجوزي" (رقم 79): وتبعه على ذلك ولد الزركشي في "ذيل اللآلي" (ق 50 / ب): "نوح هو ابن أبي مريم: هالك متهم" ! وهو خطأ، إذ نوح المؤدب هو الذي يروي عن إبراهيم بن سعد بخلاف ابن أبي مريم، قال أبوبكر الأثرم – كما في "تاريخ الخطيب" (13 / 319): "ذكر لي أبوعبدالله – أي: الإمام أحمد – نوح بن يزيد المؤدب، فقال: هذا شيخ كيس، أخرج إليَّ كتاب إبراهيم بن سعد، فرأيت فيه ألفاظا، قال أبوعبد الله: نوح لم يكن به بأس، كان مستثبتا"، وقال محمد بن المثنى البزّار – كما عند الخطيب أيضا –: "سألت أحمد بن حنبل عنه، فقال: اكتب عنه، فإنه ثقة، حج مع إبراهيم بن سعد، وكان يؤدب ولده".

وانظر: "تهذيب الكمال" (30 / 63).

* كلام ابن الجوزي على القصة:

وقد ضعف هذا الإسناد ابن الجوزي بقوله عقبه في "الواهيات": "هذا حديث لا يصح، في إسناده ابن إسحاق، وقد كذبه مالك وهشام بن عروة، وفيه علي بن عاصم، قال يزيد بن هارون: ما زلنا نعرفه بالكذب، وكان أحمد سيء الرأي فيه، وقال يحيى: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك الحديث".

وقال عقبة في "الموضوعات": "وقد رواه نوح بن يزيد عن إبراهيم بن سعد بهذا الإسناد، ورواه الحكم بن أسلم عن إبراهيم أيضا"، قال: "وهذا حديث لا يصح، أما محمد بن إسحاق، فمجروح، شهد بكذبه مالك، وسليمان التيمي، ووهيب بن خالد، وهشام بن عروة، ويحيى بن سعيد، وقال ابن المديني: يحدث عن المجهولين بأحاديث باطلة، وأما عاصم، فقال ابن معين فيه: ليس بشيء، وأما نوح بن يزيد والحكم، فكلاهما متشيع".

وقال عقبه في "التحقيق": "قلنا: هذا حديث لا يصح، في إسناده ابن إسحاق وعلي بن عاصم وقد سبق جرحهما، وقد رواه نوح بن يزيد عن إبراهيم بن سعد بهذا الإسناد، ورواه الحكم بن أسلم عن إبراهيم أيضا"،وقال: "ونوح والحكم كلاهما متشيع".

* المؤاخذات على كلام ابن الجوزي:

قال أبو عبيدة: وكلام ابن الجوزي في المواطن الثلاثة المذكورة آنفا متعقب بأمور:

الأول: أنه – عفا الله عنا وعنه بمنه وكرمه – أفحش القول في ابن إسحاق! وقد قلّد الجورقاني في ذلك – ووقف الحافظ ابن حجر على كتاب الجورقاني "الأباطيل" بخط ابن الجوزي،كما قال في "فتح الباري" (**10 / 306**) [7] – قال الجورقاني في "الأباطيل" (**2 / 90 – 91**): "هذا حديث لا يرجع منه إلى صحة، وليس لهذا الحديث أصل، ومحمد بن إسحاق ضعيف الحديث لا يحتج به".

قلت: ابن إسحاق مدلس، لا تقبل روايته إن عنعن فحسب، فالضعف هنا في روايته لا فيه، والعجب من ابن الجوزي فإنه يحتج بابن إسحاق، وفي كتابه "التحقيق" أيضا! وهذا مما جعل غير واحد يصف ابن الجوزي بالاضطراب، فها هو يحتج بالموضوعات والواهيات في كتبه الوعظية [8] ويتشدد فيسلك بعض أحاديث "الصحيحين" في كتابه "الموضوعات"!

---

[7] انظر كتابنا: "معجم المصنفات الواردة في فتح الباري" (رقم **1**).

[8] مثل: "المدهش" و "ذم الهوى" و "بحر الدموع"، وترى كثيرا من الأحاديث التي فيها، وسكت عنها مؤلفها، قد وضعت في "الواهيات" و "الموضوعات".

قال ابن الأثير في ترجمة (أحمد بن محمد الغزالي الواعظ): "وقد ذمّه أبو الفرج بن الجوزي بأشياء كثيرة، منها: روايته في وعظه أحاديث غيرصحيحة، والعجب أنه يقدح فيه بهذا، وتصانيفه هو ووعظه محشو به، مملوء منه" [9].

قال ابن حجر في "القول المسدد" (ص 56): "وأما حمل ابن الجوزي على ابن إسحاق، فلا طائل فيه، فإن الأئمة قبلوا حديثه، وأكثر ما عيب عليه التدليس والرواية عن المجهولين، وأما هو في نفسه، فصدوق، وهو حجة في المغازي عند الجمهور".

قلت: وتكذيب مالك لابن إسحاق بقول هشام بن عروة: إنه حدث عن امرأتي، ولم يرها رجل قط. وقد تأول هذا أحمد بن حنبل، فقال: "يمكن أن يكون خرجت إلى المسجد فسمع منها"، وينظر: "السير" (7 / 38).

الثاني: ضعف بعض طرقه بـ (علي بن عاصم)! وتكلف في نقل أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه، وعلى كلامه فيه المؤاخذتان الآتيتان:

الأولى: أنه توبع، فقد تابعه سبعة، وبعضهم ثقات أثبات.

والأخرى: أن كلامه ليس في محله، إذ الذي في سند هذه القصة (عاصم بن علي) وليس (علي بن عاصم)، وهو الواسطي، روى عنه البخاري في "صحيحه"، ووثقه جماعة، منهم: ابن سعد، وابن قانع، والعجلي، والإمام أحمد [10].

الثالث: كلامه في نوح والحكم غير صحيح، كما سيأتي.

* رد العلماء على كلام ابن الجوزي:

وقد تعقّب ابن الجوزي الإمام الشاب محمد بن عبد الهادي رحمه الله تعالى، فقال في "تنقيح التحقيق" (2 / 1284): "وقول المؤلف: "في إسناده ابن إسحاق وعلي بن عاصم، وقد سبق جرحهما" فيه نظر، وقد تقدم قريبا احتجاج المؤلف بابن إسحاق، وراوي هذا الحديث إنما هو عاصم بن علي الواسطي لا أبوه علي بن عاصم، وعاصم روى عنه البخاري في "صحيحه".

---

[9] "الكامل في التاريخ" (10 / 228).

وانظر – لزاما – : المجلد الثاني من (المجموعة الأولى) من كتابنا "كتب حذر العلماء منها" (رقم 97، ص 216).

[10] انظر: "تهذيب الكمال" (13/ 508)، والتعليق عليه.

وقوله: "نوح والحكم كلاهما متشيع" فيه نظر أيضا، فإن نوح بن يزيد هو المؤدب، وهو صدوق ثقة، من أصحاب إبراهيم بن سعد، ولا نعلم أحدا رماه بالتشيع، والحكم بن أسلم قال فيه أبو حاتم الرازي: قدري بصري صدوق، والله أعلم".

قلت: أجاد ابن عبد الهادي الإمام في تعيين نوح بأنه ابن يزيد المؤدب بخلاف عصريّه الذهبي الذي قال عنه "ابن أبي مريم"! فأخطأ، وقد سبق أن بينّا ذلك.

وقد نقل كلام هذا الشاب الإمام وأقره الزيلعي في "نصب الراية" (2 / 251)، وأشارإليه ابن حجر في"التلخيص الحبير" (2/ 143).

وتعقب ابن الجوزي أيضا: ابن حجر في "القول المسدد" (ص 155)، وعنه السيوطي في "اللآليء المصنوعة" (2 / 427- 428)، و "التعقبات على الموضوعات" وهو قيد التحقيق بقلمي، يسر الله إتمامه ونشره.

* تضعيف الإمام أحمد لهذه القصة:

قال الإمام محمد بن عبد الهادي: "هذا الحديث منكر جدا، أنكره الإمام أحمد وغيره، وإن كان قد رواه في "مسنده" [11] عن أبي النضر عن إبراهيم بن سعد، قال حنبل: سمعت أبا عبد الله أنكر حديث إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق أن فاطمة غسلت نفسها وكفنتها.

وعبيد الله بن علي بن أبي رافع شيخ مقل، قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن عبيد الله بن علي بن رافع، قال: هو ابن أخي عبيد اله بن أبي رافع كاتب علي، روى عنه سعيد بن أبي هلال ومحمد بن إسحاق، لا بأس بحديثه، ليس بمنكر الحديث، قلت: يحتج بحديثه. قال: لا، هو يحدث بشيء يسير، وهو شيخ" [12].

* النكارة التي في القصة:

حكم غير واحد من أهل العلم على هذه القصة بالنكارة، مثل:

* الجورقاني:

---

[11] وهذا مثل آخر يؤكد أن ليس جميع ما في "مسند أحمد" صحيح عنده.

[12] "تنقيح التحقيق" (2/ 1284).

قال في "الأباطيل" (2 / 90 – 91): "وكيف اغتسلت فاطمة رضي الله عنها قبل الموت وهي عالمة فقيهة قد علمت أن غسلها قبل الموت لا يجزيها من غسل الموت الذي يجب بعد الموت". ثم أسند أن عليا وأسماء غسلا فاطمة رضي الله عنها، وسيأتي ذلك.

* ابن الجوزي:

قال في "الواهيات": "وكيف يكون صحيحا، والغسل إنما شرع بحدث الموت، فكيف يقع قبله؟ ولو قدرناخفي هذا على فاطمة، فكان يخفى على علي رضي الله عنه؟! ثم إن أحمد والشافعي يحتجان في جواز غسل الرجل زوجته أن عليا غسل فاطمة رضي الله عنها".

وقال في "الموضوعات": "هذا لا يصح إضافته إلى علي وفاطمة رضي الله عنهما، بل يتنزهون عن مثل هذا".

* الذهبي:

وافق الذهبي ابن الجوزي في كلامه السابق في "الموضوعات" بإقراره وتدوينه له في كتابه "ترتيب الموضوعات" (ص 320)، وقال في "السير" (2 / 129) بعد أن أورده عن إبراهيم بن سعد به: "هذا منكر".

وتقدّم عن ابن عبد الهادي استنكار الإمام أحمد لها، واستبعد ابن فرحون وقوعها، كما في "الإصابة" (4 / 379)، وردّ السيوطي في "الآلئ" (2 / 428) – وتابعه ابن عرّاق في "تنزيه الشريعة" (2 / 368 – 369) – هذا الاستنكار باحتمال ضعيف جدا، لم يقم عليه دليل، فقال:"وأما إنكار ابن الجوزي الغسل للموت قبل الموت، فجوابه: أن ذلك لعله خصيصة لفاطمة خصّها بها أبوها صلى الله عليه وسلم كما خصّ أخوها إبراهيم بترك الصلاة عليه، والله أعلم" !!

قلت: تتأكد نكارتها بما ثبت بإسناد صحيح أن عليا رضي الله عنه قد غسّل زوجته فاطمة رضي الله عنها، وبهذا يستدل الفقهاء على جواز تغسيل الرجل زوجته بعد وفاتها، كالشافعية، والحنابلة، وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

(يتبع)

***

تصحيح المفاهيم

آيات من كتاب الله شاع فهمها على خلاف وجهها الصحيح

محمد سكحال
باحث برابطة العالم الإسلامي

لا غرو أن الأصل والطريق المهيع اللاحب، إلى فهم جوهر الإسلام، وفقه لباب الدين الذي ارتضاه الله لعباده، هو كتاب الله تعالى العزيز، إذ هو كلامه المباشر الذي أنزله على رسوله مترجما في لسان عربي مبين، وإذ ذاك فمن رزقه الله تعالى فهما في كتابه المجيد، فقد آتاه خيرا كثيرا بتمكينه من الفقه في الدين من معينه الصافي، ولأمر ما جمع النبي ﷺ لابن عباس في دعائه بين معرفة التفسير وفقه الدين، فقال: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل".

ودون ذلك الفهم الذي يختص الله تعالى به على من يشاء من عباده، ويفضل فيه من اختصهم به بعضهم على بعض درجات، أدوات وقواعد هي المفتاح للفهم السليم والمدرجة إلى التفسير الصحيح، فمن توفر على الأدوات وانضبط بالقواعد، اهتدى إلى معاني الآيات البينات بقدر جهده واجتهاده وتوفيق الله له، ومن ذلك المعرفة بلسان العرب وأساليبها في التصرف بالكلام إفرادا وتركيبا، ومعرفة أسباب النزول وهي الوقائع الاجتماعية التي كانت السبب في نزول قرآن بشأنها، فهي لا جرم تساعد على تجلية المراد وإن كانت لا تقصر عمومه وإطلاقه على تلك الواقعة، فالعبرة بعموم اللفظ وإنما تجري وقائع الأسباب منه مجرى المثال. وقد بدأ علم التفسير كغيره من العلوم الشرعية، بتلقي الصحابة له من رسول الله ﷺ غضانديا، ثم منهم إلى التابعين، ثم دخل في طور التدوين فالتصنيف، وكان أولا ممزوجا مع غيره في كتب الحديث، ثم جرد في تصانيف تخصه، وكان قاصرا في البداية على التفسير بالمأثور، ثم انضم إليه التفسير بالرأي فتكامل بذلك وصار فنا مستقلا بنفسه،

هنالك ظهرت بعض المشارب والمذاهب في تفاسير شاملة مستوعبة لما بين دفتي المصحف، حادت بأصحابها عن السنن الأقوم، فتأولوا القرآن على غير تأويله، ونأوا به عن سواء مراده بضروب من التعسف والتكلف، اتباعا للأهواء ومحاولة لاستنطاق القرآن بالدلالة على صحة أباطيلهم، وصدق أكاذيبهم.

ولست في هذه الوجازة بسبيل أن أعرض نماذج من تلك المشارب والمسالك المنحرفة في تفسير كتاب الله، فهو موضوع تكفل بدراسته عدد من الباحثين من أبرزهم الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله في كتابيه "التفسير والمفسرون" و "الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن"، وإنما أكتفي بعرض بعض الآيات التي شاع بين أهل زماننا فهمها على غير وجهها الصحيح، داعيا إلى أن نستن بسنة سلفنا رحمة الله عليهم في شدة التحرز من القول في كتاب الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

الآية الأولى:

قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد: ١١)، فهم بعض المعاصرين من معناها أن الله لا ينقل الناس من حال الضعف والتخلف إلى الضد من ذلك، حتى يكونوا هم الذين يتعاطون أسباب النهضة والقوة من داخل أنفسهم، ولعل المفكر الجزائري المعروف مالك بن نبي رحمه الله، من الرواد الذين فهموا أن الآية تدل على هذا المعنى، واعتبروها سنة من السنن في التغيير الاجتماعي، واتخذوها شعارا للبناء الحضاري، ونحن لا ننازع في أن التغيير الاجتماعي ينطلق من داخل النفس الإنسانية، وأن صياغة الأفراد فكرا وسلوكا هو منطلق كل تنمية راشدة وغاية كل دعوة إصلاحية واعية، لكن ننازع في أن تكون هذه الآية ترمي إلى هذا المعنى، وقد يكون قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (العنكبوت: ٦٩) أولى بالدلالة على صلة جهود التغيير بنتائجها وثمراتها.

وقد بدأ في بعض التوجهات الفكرية الإسلامية، اشتطاط في الدندنة حول السنن

الإلهية في التغيير الاجتماعي، وغلو في الاعتداد بها، إلى حد الظن بأن تغيير المجتمعات من ضعف إلى قوة، ومن جهل إلى علم، ومن فساد إلى صلاح، منحصر في المُكنة البشرية، بممارسة الأسباب التي سخرها الله للبشر جميعا مؤمنهم وكافرهم، وكأن منة الله عليهم لا يكون إلا في تمكينهم من تلك الأسباب، وليس وراء ذلك شيء من نفحات لطفه بهم، على حين أن القرآن الكريم يقص علينا ما يدل على أن فضل المولى على عباده ابتدائي محض، كما في قوله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض﴾ (القصص: ٥–٦)، وفي قوله عن الرعيل الأول من هذه الأمة: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾ (الأنفال: ٢٦). وإذا تبين هذا، فالمعروف من تفسير الآية أن الله تعالى لا ينقل قوما من حال النعمة والأمن ورغد العيش، إلى الضد من ذلك، حتى يتعاطوا هم أسباب ذلك النقل من سوء أعمالهم وفساد أخلاقهم، فيستوجبوه حكما عدلا وجزاء وفاقا، كما قال تعالى: ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (النحل: ١١٢)، يقول إمام المفسرين الطبري في تفسير الآية الأولى: يقول تعالى ذكره: إن الله لا يغير ما بقوم من عافية ونعمة، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم، حتى يغيروا ما بأنفسهم من ذلك، بظلم بعضهم بعضا، واعتداء بعضهم على بعض، فتحل بهم حينئذ عقوبته وتغييره. اهـ

وأولى ما فُسر به القرآن الكريم القرآن نفسه، فإن كلام الله يبين بعضه بعضا، وعلى هذا فالآية الآنفة بينتها آية أخرى يقول الله تعالى فيها: ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الأنفال: ٥٣)، قال البغوي: أراد أن الله تعالى لا يغير ما أنعم على قوم، حتى يغيروا هم ما بهم، بالكفران وترك الشكر، فإذا فعلوا ذلك غير الله ما بهم، فسلبهم النعمة.

الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ (الحجرات: ١٣)، وقد شاع في أهل زماننا، حمل معنى التعارف في هذه الآية، على التعارف الاختياري الذي يتم بين شخصين، بحيث يعرّف كل واحد منهما صاحبه على هويته بناء على رغبة سابقة منهما بذلك، وربما يتجاوز هذا التعارف حدود الهوية الشخصية إلى الهوية الثقافية التي أبرزها الانتماء الديني، لقصد تبادل احترامه في التعامل المرتقب أو التحاور على القضايا الخلافية في ذلك.

فمعنى الآية على هذا الفهم، يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، ثم نشرناكم في الأرض، مشعّبين شعوبا ومفصلين قبائل، لكي يبادر بعضكم للتعرف على بعض آخر، فكأنه جعل تقسيم البشر إلى مجموعات تربطها أنساب عالية مشتركة، سببا يثير لديهم رغبة التعارف بين أفراد أو طوائف من مجموعتين مختلفتين، فيتعرف التركي على العربي، والفارسي على الرومي، والعدناني على القحطاني، والمضري على الربعي، والحميري على الأزدي.

فهل هذا هو معنى الآية عند أهل العلم بالتفسير ؟ والجواب: كلا، والسياق لا يقتضيه ولا يساعد عليه، بل معنى التعارف في الآية معنى طبعي عندهم خارج عن الكسب، وهو التمايز والتباين بالأنساب، كتباينهم بالألقاب وتمايزهم بالخصائص والملامح الشخصية، فيعرف كل واحد بنسبه البعيد المنتهي إلى الشعب، ثم بنسب ينحصر بدوائر متناقصة متداخلة، من القبائل والفصائل والعشائر والعمائر، إلى أن يصل إلى الدائرة الصغرى التي تضم الأسرة المشتملة على الأب والجد والقرابة القريبة.

ثم بين الله سبحانه وتعالى بعد ذلك أن الأنساب ليست مقصودة لأكثر من أن ينعرف كل إنسان في آبائه وأجداده، ولا تقتضي أي تفاضل ذاتي يفاخر به بعضهم على بعض، ما دام الجميع متساوين في الولادة من مَائَيْ ذكر وأنثى، ومنتهين في نسبهم إلى أب واحد وأم واحدة، وأن الفضل إنما يحصل بالعمل الصالح لا بالانتساب إلى قوم لهم أعمال مجيدة

ومآثره حميدة، فقال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، قال الطبري: يقول تعالى ذكره: إنما جعلنا هذه الشعوب والقبائل لكم أيها الناس، ليعرف بعضكم بعضا في قرب القرابة منه وبعده، لا لفضيلة لكم في ذلك، وقربة تقرّبكم إلى الله، بل أكرمكم عند الله أتقاكم. اهـ

فبان بهذا أن الفعل في قوله: "لتعارفوا" ليس مسندا في حقيقة معناه إلى الناس، بل إلى بارئهم، وإنما هم منفعلون به، وأن الآية ليست في شيء مما يزعمه البعض من أن فيها ما يدل على الدعوة إلى التعارف والترغيب فيه، بل إنما سيقت لتقرير المساواة بين بني البشر في أصل الخلقة النوعية والشخصية، وإبطال ما كان يتغنى به الناس في الجاهلية من التفاخر بالآباء والأنساب والأحساب، وأن التقوى هي المعيار الوحيد للكرامة عند الله تعالى، كما قال النبي ﷺ: "الحسب المال، والكرم التقوى"، والله أعلم.

الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ (هود: ١١٨، ١١٩)، فما معنى الاختلاف المذكور في هذه الآية؟ وما مرجع اسم الإشارة في قوله: ﴿ولذلك خلقهم﴾؟ وهل يصح أن يكون عائدا على الاختلاف؟ فإن كان كذلك احتمل أن يكون معنى الآية: لا يزال البشر منقسمين إلى ملل شتى ومذاهب وطوائف، منهم المؤمنون والملحدون، ومنهم الموحدون والمشركون، وأنه تعالى خلقهم لأجل الاختلاف، فيكون الاختلاف في الدين مقصودا من مقاصد الخلق وغاية من غاياته، ويمكن أن يبني بعض الناس على هذا أن التعددية الدينية، أمر ينسجم مع الفطرة الكونية، فينبغي تقبلها بصدر رحب، والمحافظة عليها باعتبارها قيمة اجتماعية ثقافية !

ولو كان معنى الآية كذلك لم يكن في استثناء المرحومين فائدة ولا معنى، إذ كان يكون تأويلها: ولا يزال البشر مختلفين فيما بينهم إلا المرحومين، فليسوا بمختلفين مع غيرهم ! فهذا معنى واضح الفساد لما فيه من الخُلف، إذ إن اختصاصهم بالرحمة ينبيء عن وجود اختلاف بينهم وبين غيرهم، وأنهم تميزوا بشيء يقتضي ذلك الاختصاص، وإذ ثبت

هذا، فما معنى قوله: "مختلفين" وقوله بعد ذلك: ﴿ولذلك خلقهم﴾؟ والجواب أستخلصه من مثال أقدمه بين يديه، لو قلت: لا يزال الناس يعانون من الأزمة الاقتصادية إلا من رحم ربك، كان واضحا من ذلك أن المستثنين ناجون من شر متصيد معناه من مضمون الكلام قبل الاستثناء، وهو المعاناة الناشئة عن الأزمة الاقتصادية، فكذلك المستثنون بالرحمة في الآية، ناجون من شر متصيد من مضمون الكلام قبل الاستثناء، وهو الاختلاف، فثبت بهذا الإيضاح أن ذلك الاختلاف الذي هم واقعون فيه، شر كله وأنه مهلك لهم في عاقبة أمرهم، مورد لهم النار، وإذا كان كذلك فهو اختلاف غير مرضي البتة، ولا يستحق أن يشاد به، لأنه من الاختلاف الذي معناه: معاندة الحق، فكأنه قال: ولا يزالون معاندين للحق، ناكبين عنه، إلا فئة أدركها الله برحمته، فآمنت به واتبعته، ثم عطف تعالى على ذلك بقوله: ﴿ولذلك خلقهم﴾ يعني: خلق الناس ليتنجزفيهم ما سبق من حكمه تعالى بأن يصير بعضهم إلى الشقاوة بكفره ومعاندة الحق، وبعضهم إلى السعادة بفعله لضد ذلك، وهذا معنى قول مالك بن أنس رحمه الله في جوابه لأشهب لما سأله عن هذه الآية: فريق في الجنة وفريق في السعير.

فاللام في الجملة الأخيرة من الآية، لام العاقبة والصيرورة كما قال الآلوسي، وليست لام التعليل، فهي كاللام في قوله تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس﴾ (الأعراف: ١٧٩)، وقوله: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ (القصص: ٨)، وذلك أن الله تعالى اقتضت حكمته في أن يخلق خلقا للسعادة وخلقا للشقاوة، ثم يسر كلا لما خلق له بما ابتلاهم به من الإيمان ومقتضياته العملية، حتى يكون مصيرهم جزاء لأعمالهم، فجعل الإيمان بالله واتباع رسله طريقا إلى اليسرى، وضدّه طريقا إلى العسرى، والله أعلم.

وإذا تبين هذا فكيف يسوغ أن يستدل بالآية على إقرار الاختلاف في القضايا الأصولية والإشادة به، بلَهَ جعلها عنوانا لكتاب أو شعارا لفكرة ؟ إن هذا لشيء عجاب !

الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (الكهف: ٢٩)،

هل هذه الآية ناطقة بإقرار حرية العقيدة؟ على معنى أن الله تعالى أمر فيها رسوله بأن يكتفي بالقول للناس: إن هذا الدين الحق إنما أتى من عند الله، ثم يطلق لهم المشيئة بعد ذلك في أن يختاروا ما يشاؤون من إيمان أو كفر، فما له عليهم من سلطان ولا سبيل، هل هذا هو المراد من الآية ؟

والحقيقة أنه ليس فيها ما يدل على إقرار حرية العقيدة ولا على ضدها، إذ لو أقر كتاب الله – سواء في هذه الآية أو في ما يشاكلها، كقوله تعالى: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ (التكوير: ٢٨)، وقوله: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ (المزمل: ١٩، الإنسان: ٢٩) لو أقر حرية العقيدة كإقرار حرية التملك والتنقل والقَطَن، للزم من ذلك أن لا يؤاخذ الله الكافر على كفره بشيء في الدنيا تشريعا، ولا في الآخرة تكوينا، واللازم باطل فالملزوم مثله، وإنما خرج الكلام في الآية مخرج التهديد والتخويف من عاقبة الاختيار للكفر، نظيره قوله تعالى: ﴿فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ (النحل: ٥٥، الروم: ٣٤)، بدليل قوله بعد ذلك: ﴿إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها﴾ (الكهف: ٢٩)، قال الطبري في تأويل الآية: وليس هذا بإطلاق من الله الكفر لمن شاء، والإيمان لمن أراد، وإنما هو تهديد ووعيد. اهـ، وإنما مثل ذلك مثل من يقول لقوم ينذرهم: هذان طريقان أحدهما آمِن والآخر مهلك، وقد نصحت لكم فمن شاء فليسلك مسلك الأمان ومن شاء فليسلك مسلك الهلاك، ثم لا يلومن إلا نفسه، فهذا لايعد بيانا لحرية الاختيار منه، وإنما للتحذير من الخطر الموجود في أحد المسلكين، والله أعلم.

(مع الشكر لمجلة رابطة العالم الإسلامي)



بحوث ودراسات:

في أصول الفقه

الشيخ محمد أسلم المدني المباركفوري

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساء لون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا﴾ (النساء: ١)

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد:

فقد ختم الله سبحانه وتعالى موكب الرسالات والأديان برسالة الإسلام التي أرسل بها نبيه ﷺ فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد شتاتها، وامتلأ به الكون نورا وابتهاجا، ودخل الناس في دين الله أفواجا أفواجا.

ولما كانت الرسالة المحمدية آخر الرسالات السماوية، كان من خصائصها البارزة: الشمول والعموم والثبات، لأنها صالحة لكل زمان ومكان، وخالدة بخلود الإنسان، وقد كان رسول الله ﷺ ترجمة عملية لهذه الرسالة الخالدة، فبيّن للناس وبلّغ، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء، والطريق الواضحة الغراء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

ثم قام بعد ذلك الصحابة الذين هم أعمق الناس علما وفهما وأبرّهم قلوبا، فما كانوا بحاجة إلى دراسة قواعد مفردة بالبحث والتأليف ليستعينوا بها في استثمار نصوص الشريعة، لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم.

ثم أخذ عنهم التابعون، الداخلون في خير القرون، فاستغنوا عن تدوين أصول الفقه

لقوة صلتهم بالصحابة – رضي الله عنهم أجمعين – وغلبة السلامة على لغة العرب من الدخيل، وهكذا "استمر الحال على ذلك حتى كان أواخر القرن الثاني الهجري حيث اتسعت الفتوحات الإسلامية وعظمت رقعة الإسلام" (١) وانتشر العلماء في الأمصار، وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكري الأقدار "واختلطت الأمة العربية بأمم أعجمية، ودخل كثير من هذه الأمم في الإسلام، وتعلم الكثير منهم اللغة العربية، وحصل التزاوج بين الكثير منهم، فحصل الامتزاج بين الأمة العربية والأعجمية، فنقلوا للعالم الإسلامي عاداتهم وتقاليدهم ولغاتهم وثقافتهم، فكان لذلك أعظم الأثر وأعمقه، إذ ظهرت قضايا جديدة لم يسبق لها وجود". (٢)

ولما كانت المستجدات، والقضايا النازلة لا نهاية لها، وكانت النصوص متناهية، قام العلماء – رحمهم الله تعالى – بوضع قواعد وضوابط، تمكن المجتهد والفقيه من استنباط ومعرفة أحكام ما جدّ من مسائل وحوادث. وهذا ما يعرف بعلم "أصول الفقه" الذي يعتبر من أهم العلوم الشرعية وأشرفها وأجلها، لأنه كان في علم الشريعة كواسطة النظام متوسطا بين رتبتي الفروع وعلم الكلام" (٣) يلجأ إليه العلماء عند تحرير المسائل وتقرير الدلائل في غالب الأحكام.

وهو علم عظم شأنه وقدره، وعلا في العالم شرفه وفخره "إذ هو مثار الأحكام الشرعية، ومنار الفتوى الفرعية التي بها صلاح المكلفين معاشا ومعادا، ثم إنه العمدة في الاجتهاد وأهم ما يتوقف عليه في المواد" (٤) فيجب أن يعتبر في الذروة العليا، والدرجة التي لا يدانيه فيها علم من العلوم، فكان لابد من التعريف به.

قال الآمدي: "حق على من حاول تحصيل علم من العلوم أن يتصور معناه أولا بالحد والرسم، ليكون على بصيرة فيما يطلبه، وأن يعرف موضوعه – وهو الشيء الذي يبحث في ذلك العلم عن أحواله العارضة له – تمييزا له عن غيره وما هو الغاية المقصودة من تحصيله، حتى لا يكون سعيه عبثا وما عنه البحث فيه من الأحوال التي هي مسائله لتصور طلبها، وما

(١) أصول الفقه وابن تيمية (١/٢٣) (٢) المصدر السابق (١/٢٣–٢٤)
(٣) القواعد والفوائد الأصولية (ص ١٥) (٤) التمهيد للأسنوي (ص ٤٣)

منه استمداده لصحة إسناده عند روم تحقيقه إليه، وأن يتصور مبادئه التي لابد من سبق معرفتها فيه، لإمكان البناء عليها". (١)

وقال ابن التلمساني: "اعلم أنه لابد من تقديم مقدمة بها يتبين حد هذا العلم ومقصوده ومادته، فإنه حقيق على كل من يحاول الخوض في فن من فنون العلم أن يحيط بذلك منه. (٢)

تعريف أصول الفقه:

يعرف العلماء أصول الفقه باعتبارين:

الأول: باعتباره مركبا إضافيا، يتكون من كلمتين، هما: "أصول" وهو المضاف، و"الفقه" وهو المضاف إليه. وعلى هذا، فلابد من تعريف جزئي المركب، أي: تعريف كل كلمة على حدة.

الثاني: باعتباره علما يطلق على علم معين خاص.

فينبغي تعريفه باعتبار كونه مركبا إضافيا، وباعتبار كونه علما على الفن المعهود.

● **معنى الأصول:**

أما تعريفه باعتباركونه مركبا إضافيا، فإن كلمة "أصول" جمع "أصل"، والأصل في اللغة أساس الشيء وأسفله (٣) وهو ما ينبني عليه غيره، سواء كان البناء حسيا، كبناء السقف على الجدران، والجذع على الشجرة، فإنه يقال لجذع الشجرة: أصل، لأن باقي أجزاء الشجرة من أغصان وأوراق وثمر يقوم على الجذع وينبني عليه.

أو معنويا، كبناء الحكم على دليله.

قال الجرجاني: الأصل في اللغة عبارة عما يفتقر إليه، ولا يفتقر هو إلى غيره. (٤)

وفي الاصطلاح: ما له فرع، لأن الفرع لا ينشأ إلا عن أصل. ويطلق على أربعة معان:

أحدها: الدليل، يقال: أصل هذه المسألة: الكتاب والسنة، أي: دليلها.

ومن ذلك قول الفقهاء:

١ – الأصل في طهارة الماء، قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهورا﴾ (الفرقان:

---

(١) الإحكام (١/٧)   (٢) شرح المعالم في أصول الفقه (١/١٣٧)، وانظر أيضا: الإبهاج شرح المنهاج (١/١٩)

(٣) معجم مقاييس اللغة (ص ٧٩) وترتيب القاموس المحيط (١/١٥٤)

(٤) التعريفات (ص ٢٨)

٤٨) أي: إن الدليل الدال على طهارة الماء هي هذه الآية الكريمة. (١)

٢ – وهكذا، الأصل في جواز المسح على الخفين: السنة. (٢)

الثاني: الراجح من الأمرين، يقال: الأصل في الكلام الحقيقة، لا المجاز، أي الراجح في الكلام عند إطلاقه الحقيقة دون المجاز، لأنها المتبادرة إلى الذهن من الكلام، والتبادر علامة الحقيقة، إلا إذا كانت هناك قرينة صارفة لمعنى الكلام عن هذه الحقيقة. (٣)

الثالث: القاعدة الكلية، يقال: إباحة أكل الميتة للمضطر على خلاف الأصل، أي: على خلاف القاعدة الكلية المستمرة، لأن القاعدة الكلية المستمرة هي تحريم أكل الميتة.

ومنه قول الفقهاء:

١ – الأصل في الأشياء الإباحة حتى يدل الدليل على التحريم. (٤)

٢ – الأصل في المضار التحريم، وفي المنافع الإباحة. (٥)

٣ – الأصل في العبادات أن لا تتحمل. (٦)

الرابع: المقيس عليه، وهو ما يقابل الفرع في باب القياس. والفرع:ما ينبني على غيره (٧)، لأن أركان القياس أربعة: أصل وفرع وعلة وحكم. فإذا قيل: النبيذ كالخمر، فالخمر أصل يقاس عليه الفرع، وهو النبيذ، لاشتراكهما في الإسكار، فثبت للنبيذ حكم الخمر، وهو الحرمة.

والإطلاق الأول أي: إطلاق الأصل على الدليل هو المراد هنا (٨) لأن اللفظ إذا كانت له عدة معان، فإن أحد هذه المعاني هو الذي يتبادر للفهم عند الإطلاق، وأما بقية المعاني فتحتاج إلى قرينة تدل على أن أحدها هو المراد، فإذا قيل "أصول الفقه" فإن المراد به "أدلة الفقه" (٩) وقواعده التي ينبني عليها، أي: معرفة القواعد التي تنبني عليها الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد.

معني الفقه:

وأما الفقه فهو في أصل اللغة يدل على إدراك الشيء والعلم فيه. تقول: فقهت الحديث

(١) الاختيار لتعليل المختار (١٦/١) (٢) المصدر السابق (٢٧/١)

(٣) تيسير الوصول إلى علم الأصول (ص١٢)

(٤) الأشباه والنظائر للسيوطي (ص٦٠) وبداية المجتهد (٤٧/٢)

(٥) القواعد والضوابط الفقهية (٤٩/١، ٥٠) (٦) المصدر السابق (٥٦٣/٢)

(٧) متن الورقات (ص١) (٨) شرح الكوكب المنير (٣٩/١)

(٩) البرهان (٧٨/١) والإحكام للآمدي (١٠/١)

أفقهه، وكل علم بشيء فهو فقه، ثم اختص بذلك علم الشريعة، فقيل لكل عالم بالحلال والحرام: فقيه. (١) ويقال: فقه الأمر فَقَها وفِقْها، وفقِه عنه الكلام ونحوه فهو فقِه، وفقُه فقاهة، وتفقه، وتفقه الأمر إذا فطن (٢).

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: فقه – بالضم – إذا صار الفقه له سجية، وفقه – بالفتح – إذا سبق غيره إلى الفهم، وفقه – بالكسر – إذا فهم (٣)، والفقه الفهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ما نفقه كثيرا مما تقول﴾ (هود: ٩١) أي: ما نفهم (٤) وقوله تعالى: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ (الإسراء: ٤٤) وقوله تعالى: ﴿واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾ (طه: ٢٧ – ٢٨) أي: يفهموا قولي.

هذا إذا كان الفعل مجردا، وأما إذا كان مزيدا فمعناه: الفهم العميق النافذ كما في قوله تعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾ (التوبة: ١٢٢) أي: يتكلفوا الفقاهة ويتعمقوا في معرفة أحكام الدين، وكذلك قوله ﷺ: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" (٥) أي: يفهمه في الدين (٦)، وكذا دعاؤه ﷺ لابن عباس – رضي الله عنهما – فعنه أن النبي ﷺ دخل الخلاء، فوضعت له وضوء ا، قال: " من وضع هذا ؟" فأخبر، فقال: "اللهم فقهه في الدين". (٧)

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لا يبع في سوقنا إلا من تَفَقَّه في الدين" (٨)

وقيل: الفقه: العلم. (٩)

☆☆☆

---

(١) معجم مقاييس اللغة (ص ٨٢٣) (٢) لسان العرب (١٣/٥٢٢)

(٣) فتح الباري (١/١٩٨–١٩٩) (٤) تفسير ابن كثير (٢/٦٧٣)

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧١) ومسلم (٩٨/١٠٣٧) في صحيحيهما من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

(٦) فتح الباري (١/١٩٨)

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٤٣) ومسلم (١٣٨/٢٤٧٧) في صحيحيهما، وأخرجه أحمد في مسنده (١/٣٣٠) من طريق عمرو بن دينار عن كريب عن ابن عباس، وفيه: فدعا لي أن يزيدني الله فهما وعلما، هذا سند صحيح، وقال الهيثمي في المجمع (٩/٢٨٧): "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح".

(٨) أخرجه الترمذي (٤٨٧) وحسّن إسناده الألباني في صحيح الترمذي (٤٠٤)

(٩) والأشبه أن الفهم مغاير للعلم، إذ الفهم عبارة عن جودة الذهن من جهة اقتناص كل ما يرد عليه من المطالب، وإن لم يكن المتصف به عالما، كالعامي الفطن، وعلى هذا فكل عالم فهم، وليس كل فهم عالم، الإحكام للآمدي (١/٧)

آداب إسلامية:

آداب الأذان

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، جاركند

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

هذه كلمة موجزة في آداب الأذان، أريدأن أقدمها بين يدي القارئ الكريم ليعرف آداب وسنن الأذان في الإسلام. فأقول وبالله التوفيق والعصمة.

سنّ الدين الحنيف آدابا وسننا تتعلق بالأذان أوجز أهمها فيما يلي:

1 – يشرع الأذان قائما، ولا يشرع قاعدا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "يا بلام قُم فناد بالصلاة" [1].

2 – يحسن أن يكون المؤذن رفيع الصوت وحسنه، ففي سنن أبي داود والترمذي وغيرهما في الحديث الصحيح عن عبد الله بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "ألقه على بلال فإنه أندى صوتا منك".

3 – يشرع الترجيع في الأذان – والترجيع هو العود إلى الشهادتين مرتين برفع الصوت بعد قولها مرتين بخفض الصوت – ففي صحيح مسلم عن أبي محذورة أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه هذا الأذان الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله ثم يعودفيقول: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله،أشهد أن محمدا رسول الله. [2] الحديث.

4 – يستحب أن يتخذ مؤذنان للمسجد الواحد، ففي صحيح مسلم عن ابن عمر قال: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنان بلال وابن أم مكتوم الأعمى. [3]

5 – لا بأس بأذان الأعمى إذا كان معه بصير، ففي صحيح مسلم عن عائشة قالت: كان ابن أم مكتوم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعمى. [4]

[1] رواه مسلم في صحيحه، باب الأمر بشفع الأذان وإيتار الإقامة .. الخ.
[2] صحيح مسلم، باب صفة الأذان.
[3] صحيح مسلم، باب استحباب اتخاذ مؤذنين للمسجد الواحد.
[4] صحيح مسلم، باب جواز أذان الأعمى إذا كان معه بصير.

6 – يشرع أذان المنفرد لحديث أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير إذا طلع الفجر وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذانا أمسك وإلا أغار، فسمع رجلا يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: على الفطرة، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خرجت من النار، فنظروا فإذا هو راعي معزى. [5]

7 – يستحب أن يقول السامع كل كلمة بعد فراغ المؤذن منها، ولا ينتظر فراغه من كل الأذان، وأن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من متابعة المؤذن، وأن يسأل الوسيلة له. ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة". [6]

8 – ومن الأدب أن يقيم من أذن. ففي سنن أبي داود عن زياد بن الحارث الصدائي قال: "لما كان أول أذان الصبح أمرني – يعني النبي صلى الله عليه وسلم – فأذنت، فجعلت أقول: أقيم يا رسول الله؟ فجعل ينظر إلى ناحية المشرق إلى الفجر فيقول لا، حتى إذا طلع الفجر نزل فبرز ثم انصرف إلي وقد تلاحق أصحابه – يعني فتوضأ – فأراد بلال أن يقيم، فقال له نبي الله صلى الله عليه وسلم: إن أخا صداء هو أذن ومن أذن فهو يقيم" قال: فأقمت". [7]

9 – يكره أن يأخذ المؤذن على أذانه أجرا، ففي سنن أبي داود عن عثمان بن أبي العاص قال: قلت: وقال موسى في موضع آخر: "إن عثمان بن أبي العاص قال: يا رسول الله! اجعلني إمام قومي قال:أنت إمامهم، واقتد بأضعفهم، واتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرا". [8]

قال العظيم آبادي: أخذ المؤذن الأجر على أذانه مكروه في مذاهب أكثر العلماء. [9]

10 – لا يجوز الأذان قبل دخول الوقت. ففي سنن أبي داود عن بلال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "لا تؤذن حتى يستبين لك الفجر هكذا، ومدّ يديه عرضا". [10]

---

[5] صحيح مسلم، باب الإمساك عن الإغارة الخ.
[6] صحيح مسلم، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه الخ.
[7] سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود، 28 – باب الرجل يؤذن ويقيم آخر.
[8] سنن أبي داود 38 ، باب أخذ الأجر على التأذين 527.
[9] راجع لمزيد البسط عون المعبود شرح سنن أبي داود 2 / 235.
[10] سنن أبي داود 39 باب في الأذان قبل دخول الوقت، 530 .

قال أبوداود: شداد مولى عياض لم يدرك بلالا.

11 – يكره الخروج من المسجد بعد الأذان، ففي سنن أبي داود عن أبي الشعثاء قال: كنا مع أبي هريرة في المسجد فخرج رجل حين أذّن المؤذن للعصر، فقال أبو هريرة: "أما هذا فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم" [11]

قال العظيم آبادي: "قال الحافظ: "وفيه كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان" وهذا محمول على من خرج بغير ضرورة، وأما إذا كان الخروج من المسجد للضرورة فهو جائز، وذلك مثل أن يكون محدثا أو جنبا، أو كان حاقنا، أو حصل به رعاف أو نحو ذلك، أو كان إماما بمسجد آخر". [12]

12 – يكره الأذان بغير وضوء. ففي الترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤذن إلا متوضيء". [13]

قال صاحب السبل: قد ذهب أحمد وآخرون إلى أنه لا يصح أذان المحدث حدثا أصغر عملا بهذا الحديث انتهى. لكن ذكر الترمذي أحمد في المرخصين، وذكر العيني في شرح البخاري الشافعي مع أحمد في المرخصين حيث قال: قال صاحب الهداية من أصحابنا: وينبغي أن يؤذن ويقيم على طهر لأن الأذان والإقامة ذكر شريف فيستحب فيه الطهارة، فإن أذن على غير وضوء جاز، وبه قال الشافعي وأحمد وعامة أهل العلم، وعن مالك أن الطهارة شرط في الإقامة دون الأذان، وقال عطاء والأوزاعي وبعض الشافعية تشترط فيهما انتهى كلام العيني.

قلت: العمل على حديث الباب هو الأولى، فإن الحديث وإن كان ضعيفا لكن له شاهدا من حديث وائل، قاله الحافظ في التلخيص. روى البيهقي والدارقطني في الإفراد وأبو الشيخ في الأذان من حديث عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال: حق وسنة أن لا يؤذن الرجل إلا وهو طاهر، ولا يؤذن إلا وهو قائم، إلا أن فيه انقطاعا، لأن عبد الجبار ثبت عنه في صحيح مسلم أنه قال:كنت غلاما لا أعقل صلاة أبي، ونقل النووي اتفاق أئمة الحديث على أنه لم يسمع من أبيه، انتهى ما في التلخيص، وله شاهد آخر من حديث ابن عباس ذكره الزيلعي في نصب

[11] سنن أبي داود 41 باب الخروج من المسجد بعد الأذان 532 .
[12] عون المعبود 2 / 240 .
[13] سنن الترمذي 147 باب ما جاء في كراهية الأذان بغير وضوء 200 .

الراية بلفظ: يا ابن عباس إن الأذان متصل بالصلاة فلا يؤذن أحدكم إلا وهو طاهر، أخرجه أبوالشيخ والله تعالى أعلم.[14]

13 – يستحب الأذان في السفر لحديث مالك بن الحويرث قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وابن عم لي، فقال لنا: إذا سافرتما فأذنا وأقيما، وليؤمكما أكبركما".[15]

14 – لا يشرع الأذان ولا الإقامة لمن يصلي وحده في البلد الذي يؤذن فيه ويقام لصلاة الجماعة العظمى، ففي صحيح مسلم عن الأسود وعلقمة قالا: أتينا عبد الله بن مسعود في داره فقال: أصلى هؤلاء خلفكم فقلنا: لا، فقال: فقوموافصلوا، فلم يأمرنا بأذان ولا إقامة .. الحديث.[16]

قال النووي: هذا مذهب ابن مسعود وبعض السلف من أصحابه وغيرهم أنه لا يشرع الأذان والإقامة لمن يصلي وحده في البلد الذي يؤذن فيه ويقام لصلاة الجماعة العظمى بل يكفي أذانهم وإقامتهم، وذهب جمهور العلماء من السلف والخلف إلى أن الإقامة سنة في حقه ولا يكفيه إقامة الجماعة، واختلفوا في الأذان فقال بعضهم: يشرع له، وقال بعضهم: لا يشرع، ومذهبنا الصحيح أنه يشرع له الأذان إن لم يكن سمع الأذان وإلا فلا يشرع.[17]

15 – يستحب الأذان للصلاة الفائتة كما في حديث أبي قتادة قال في حديثه: "ثم أذن بلال بالصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين، ثم صلى الغداة فصنع كما كان يصنع كل يوم"[18] الحديث.

***

---

[14] تحفة الأحوذي للمباركفوري 1 / 512 .
[15] رواه الترمذي 151 باب ما جاء في الأذان في السفر 205 قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
[16] باب الندب إلىوضع الأيدي على الركب الخ.
[17] شرح صحيح مسلم 1 / 202 .
[18] رواه مسلم في كتاب الجمعة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها.

سمو الإسلام

الرفق بالبشرية: من مظاهر الحضارة الإسلامية

صهيب أحمد شكيل أحمد خان
الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونصلي ونسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن العالم كان فى اضطراب في القرن السادس من ميلاد المسيح عليه السلام وما قبله، وكانت المجتمعات الإنسانية في تنازع، والدول في تناحر، وكل دولة تعتبر غير رعاياها مباحي الدم والنفس، ليست لهم أي حقوق قبلها، يسترقون إن أخذوا، ويباعون في الأسواق، واشتدت نزعة الاسترقاق قبل الإسلام، حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل الإسلام استرقه شخص في إحدى رحلاته إلى الشام فاستسلم له عمر ابتداء، حتى تمكن من الانفراد به فقتله، وكان رضي الله عنه قوي الجسم ضخما.

ولقد نشأت المسيحية في ظل الإمبراطورية الرومانية، وفي وقت تحجرت فيه الديانة اليهودية، واستحالت طقوسا جامدة لا حياة فيها ومظاهر خاوية لا روح فيها، وكان الإمبراطورية الرومانية قوانينها المشهورة التي لا تزال ينبوعا للقوانين الأوربية الحديثة، وكان للمجتمع الروماني نظمه الوضعية، ومقوماته الاجتماعية، وكان الرومان قد سادها نظام لا يجعل للضعيف حقا بجوار القوي، فقد كان لها قانون منظم، بلغ أوج عظمته فى الصياغة في القرن الخامس في عهد جوستنيان، ولكن هذا القانون وإن نظم العقود والتعامل إلى حد ما قد حمى الأشراف وفرض لهم حقوقا ليست للضعفاء.

وبجوار ذلك الاضطراب فى المجتمع الروماني كان هناك المجتمع الفارسي، ولم يكن التفرق فيه بين طبقات المجتمع أقل مما كان عند الرومان، فإنه منذ أن فتح الإسكندر المقدوني

أرض فارس والمجتمع الفارسي في اضطراب مستمر، وذلك أنه عند مغادرته فارس وانسيابه إلى ما وراءها من بلاد الهند قد جزأ البلاد بين أشرافها، والدعوات الدينية فى فارس كان بعضها يدعو إلى التساؤم المطلق ويدعو إلى تحريم الزواج ليتسارع العالم إلى الفناء، وكانه يرى أن الإنسان لعنة في هذا الوجودلأنه لم يجد في مجتمعه إلا شرورا وآثاما وفتنا وانقساما، وعلى صعيد آخر الجزيرة العربية أراض واسعة تتخللها الجبال والآكام والصحارى، وزرعها قليل، لأن ماءها نادر وقد تقطعت أوصالها ولم تكن هناك روابط اجتماعية تجمع شملها، وأما القبائل فيما بينها فكانت في نزاع مستمر تقع الحرب والقتال بين هذه القبائل لأتفه الأسباب، وإذا وقعت الحرب فإنها قد تستمر طويلا، ولم تكن المرأة ذات شأن في الكيان العربي إلا في بعض كبار القبائل، ولم تكن المرأة تأخذ ميراثا، وقد كان للرجل أن يتزوج إلى أي عدد، فمنهم من كان يتزوج عشرة أو أكثر من ذلك من غير حد ولا قيد، هذه نظرات عاجلة ألقيناها على المجتمعات الروماني والفارسي والعربي.

ولكن المجتمع الإسلامي كصرح متين البنيان لا يمكن أن يراه الرائي على وجهه الصحيح، وأن يعرف مقدار ارتفاعه واتجاهه إلى السماء إلا برجعة إلى الوراء، ولا بد قبل أن نخوض في بيان المجتمع الإسلامي العادل الذي ألف بين القوى الإنسانية ونظم العلاقات على أسس قويمة من العدل والحق والمودة – أن نبين المصدر الذى استقى منه النظم التي تحكمه، وهذه النصوص الدينية هي القرآن الكريم الذي نزل بحروفه ومعانيه على النبي صلى الله عليه وسلم، وأقوال النبي صلى الله عليه وسلم التى تكون بيانا للأحكام الإسلامية وشرحا للقرآن الكريم، وليعلم أن الإسلام لم يتغير ولم يتبدل رغم تطاول الأيام عليه وتصارع المدنيات حوله، وهو لا يضمر الحقد لأي دين.

فليس لدينا إذن أي سبب لتنحية الإسلام عن المجتمع، لا من طبيعته الخاصة ولا من ظروفه التاريخية كالأسباب التي لازمت المسيحية في أوربا، فعزلت الدنيا عن الدين وتركت للدين تهذيب الضمير وتطهير الوجدان، بينما تركت للقوانين الوضعية تنظيم المجتمع وتسيير الحياة، وكذلك ليست لدينا أسباب حقيقية للعداوة بين الإسلام والكفاح لتحقيق

العدالة الاجتماعية، كالتي لابست العداوة بين المسيحية والشيوعية، فالإسلام يفرض قواعد العدالة الاجتماعية.

وإن الشريعة الإسلامية تتجه في كل أحكامهاإلى تحقيق هذه الأهداف الإجتماعية، وهي المقاصد العليا للشريعة الإسلامية فقد جاءت لتكوين مجتمع فاضل يضم الأسرة الإنسانية كلها، فالعبادات شرعت لتهذيب النفوس وتربية روح المساواة وروح الاجتماع الذي لا اعتداء فيها، والزكاة تعاون ا جتماعي يجعل للفقير حقا معلوما في أموال الغني فهى تكليف اجتماعي خالص، ولقد جعل الإسلام كفارات الذنوب تعاونا اجتماعيا.

أما حقوق الإنسان فقد كان محمد صلى الله عليه وسلم أول واضع لهذه الحقوق التي ادعتها الثورة الفرنسية فلخصها قادتها بكلمات ثلاث أو شعارات ثلاث: الحرية والمساواة والأخوة، ثم انبرت أمريكا بعد ذلك تزعم لنفسها السبق وتعلن عنها في وثيقة الاستقلال عام 1776م وأما المساواة ومعناها أن يكون الناس جميعا متساوين أمام القانون،متساوين في الحقوق والواجبات، فقد أكدها محمد صلى الله عليه وسلم بقوله "الناس سواسية كأسنان المشط ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى" وأما الأخوة فالنبي العربي صلى الله عليه وسلم هو أول من نادى بالأخوة العقائدية والأخوة الإنسانية "إنما المؤمنون إخوة" وأما الحرية فقد هيأ لها الإسلام أنقى الأجواء، لقد حرم الشرك بكافة صوره وحاربه بكافة أشكاله، وأما حرية المعتقد فقد صانها الإسلام إلا ما كان منها منافيا لكرامة الإنسان وكرامة العقل، ومن أجل ذلك حارب الوثنية حربا لا هوادة فيها ولا لين، حتى استطاع أن يهزمها، ويقلص عن الجزيرة العربية ظلها، لأنها تعبير عن جهل الإنسان وإلغاء عقله، وتتفرع عن حرية المعتقد حرية الممارسة للشعائر الدينية، وإن من الحريات العامة التي كفلها الإسلام أيضا حرية العمل، فهذه الحرية مطلقة مبدئيا إلا ما خالف منها الشريعة الإسلامية فإن الإسلام يحظرها بوصفه دينا سماويا ونظاما اجتماعيا وفكرة سياسية في آن واحد، أما حرية المرأة فقد كفلها الإسلام حين ساواها بالرجل في النفس والجاه والكرامة، ورفع عنها تلكم الآصار، وحررها من قيود

الذل والاستكانة والهوان، وهكذا نرى أن حرية الرأي هي إحدى الثمرات التي أنتجها الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

واعتبر الإسلام الإنسان من أكرم من في هذا الوجود، واختاره للخلافة في الأرض، وسخر له كل ما فيها من جبال ووهاد وزرع وصرع، بل سخر له ما في السموات وما في الأرض، وأعطاه من العلم قدرا يستطيع أن يسخر له كل ما يقرب منه لمصلحة نفسه، ولقد صرح القرآن الكريم بهذا التكريم المطلق في قوله تعالى "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرممن خلقنا تفضيلا" وهذه الكرامة الإنسانية يستحقها الإنسان بمقتضى كونه إنسانا لا للونه ولا لجنسه ولا لدينه ولا لكونه شريفا أو ذا حسب أو ذا جاه، بل هي الإنسانية ذاتها، ولقد كرم الله الإنسان حيا وميتا، ففي الحياة أعطاه العزة والكرامة، وبعد الوفاة أوجب تجهيزه وتكفينه، ونهى عن المثلة، فلا يشوه أي جزء من أجزاءه بعد وفاته، ولذا قال عليه السلام: "إياكم والمثلة" وإن الإسلام في سبيل حماية الكرامةالإنسانية منع الإكراه في العقائد، وعمل على إزالة الفتنة في الدين، ولذا قال سبحانه وتعالى: "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"

ويؤكد الإسلام بأن الناس سواسية ولا يتفاضلون إلا بالعمل الصالح والخلق القويم، وأسقط الإسلام الفروق الدينية في القضاء، فلا فرق بين مسلم وغير مسلم أمام القضاء، وقد برهن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون بأعمالهم على ذلك، وحاول الإسلام أن يحقق العدالة الإجتماعية كاملة ارتفع بها عن أن تكون عدالة اقتصادية محدودة، وأن يكون التكليف وحده هو الذي يكفلها فجعلها عدالة إنسانية شاملة، وأقامها على ركنين قويين، وهو الضمير البشري من داخل النفس والتكليف القانوني في محيط المجتمع، فجاء الإسلام ليقرر وحدة الجنس البشري في المنشأ والمصير، في المحيا والممات، في الحقوق والواجبات أمام القانون وأمام الله في الدنيا وفي الآخرة، لا فضل إلا للعمل الصالح ولا كرامة إلا للأتقى، وما من شك أن العدالة والمساواة دعامتان أساسيتان وضروريتان لبناء مجتمع صالح وتأمين استقراره وطمأنينته.

فنرى القرآن يبرز المشكلات الاجتماعية البارزة التى كان يشيعها التظالم، ويضاعف من بلاءها الأنانية والتكالب على المال في المجتمع الجاهلي، ويدفع أبناءه إلى المسارعة في تحقيق التكافل والتراحم في المجتمع وبناء العدالة الاجتماعية على أسسها الراسخة، ويجعل ذلك محكا للإيمان واختبارا مؤكدا للعقيدة، ولقد برئ الإسلام من العصبية القبلية والعنصرية – إلى جانب براءته من عصبية النسب والأسرة، فبلغ بذلك مستوى لم تصل إليه الحضارة الغربية إلى يومنا هذا.

فالحقيقة أن الإسلام هو الدين المعتمد لسائر البشرية، وليست سائر الأديان إلا صوره المحرفة المسوخة، فكل ما يوجد في هذه الأديان من الحق والصدق إنما هو البقية الباقية من أثر ذلك الإسلام الذي جاء إلى الجميع، ولكنهم أضاعوه في اختلافاتهم، وبدل أن نتظاهر بالتسامح الكاذب يجب علينا أن نقول بكل صراحة لجميع إخواننا في الإنسانية في مشارق الأرض ومغاربها: هلموا أيها الإخوة وكفوا عما أنتم عليه من العصبية وضيق الصدر واقبلوا الحق الصراح والصدق الخالص الذي لا تشوبه شائبة، ولا تظلوا متشبثين بأهداب الأشياء التى قد اختلط فيها الحق مع الباطل والصدق مع الكذب واليقين مع الشك، وليس الحق حكرا على الأمة التى تعرف اليوم بالأمة الإسلامية، بل هو ميراث تشترك فيه البشرية بأجمعها فاشكروا الله هذه النعمة التي قد وصلت إليكم بواسطة محمد صلى الله عليه وسلم مما يجعله أقدم التجارب الاجتماعية وأغنى الحضارات التى عالجت مشكلات الإنسان وحسمت قضاياه، فمن الظلم أن يعزل الإسلام عن علاج مشكلات الإنسان في هذا العصر، وهو يملك الدواء الناجح والحل الحاسم لو صدقت النيات وخلصت العزائم.

ألا وإن طبيعة الإسلام تابى أن يتخلى عن الحياة أو أن ينفض يده من مشكلاتها أو يغض بصره عما تعج به من مآثم ومظالم، بل هو صوت الحق يهتف بالخطأة أن يتوبوا، وبالغافلين أن يفيقوا، وبالعابثين أن يدركوا سر الحياة، وأن يحملوا أمانة الاستخلاف "أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون".

* * *

ركن الطلاب:

تشويق العباد إلى تربية الأولاد

حسن البناء عبد الغفور
السنة الأولى للفضيلة
الجامعة السلفية، بنارس

لما انكفأ رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة، بعد ما انتهى من وقعة أحد، وما كان له ولأصحابه فيها من أمر، مرّ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها ... فلما نعوا له، قالت: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: خيرا، يا أم فلان! — بحمد الله — كما تحبين،قالت: أرونيه، حتى أنظر إليه، فأشير إليه، حتى إذا رأته، قالت: كل مصيبة بعدك جلل — تريد صغيرة –. (ابن هشام 2 / 99)

فكذلك الرجل الصالح المعدم الذي ليس له سند ولا عضد، والذي قد قاسى من مرارة الحياة الشيء الكثير، إذا لاقى من أنعم الله، ومشتهيات الجنة العميمة، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كان ما واجهه في الدنيا من الأسى والأذى والحزن والشجن نسيا منسيا، كأنه لم يكن له به عهد، فمن يمتلك مقياسا يقيس به مدى ابتهاج ذلك الرجل الذي رزق ولدا صالحا زكيا ذكيا، أينما يوجهه يأتيه بالخير، فنشأه فأحسن تنشئته، وربّاه فأحسن تربيته، وأدبه فأحسن تأديبه، وجعل منه رجلا جم المروءة ذا عريكة لينة وأخلاق حلوة، حليما وقورا ؟!!

هذا الرجل الذي من مجتمعه كاللولؤ من عقد من الجزع، قد لُقّي من الأنعم ما لا يُلقّاه إلا الذين صبروا، ولا يلقاه إلا ذو حظ عظيم.

فاستبشروا أيها الآباء المربون، تنهضون بأحمال تنقض ظهوركم، وتضطلعون بأثقال تضني أجسامكم،وتعانون في هذا السبيل من ألوان الشدائد التي تؤود الأقاصي والأباعد، وتتعثرون في هذا الطريق الوعر، وأنتم ماضون نحو هدفكم المطلوب، لا تلقون إلى ذلك كله بالا، ولا تقيمون له وزنا، ولا ترفعون له قدرا.

استبشروا بما أعده الله لكم في جنات النعيم من متنوع المسرات التي تنزع من بين جوانحكم ما قابلتم طيلة حياتكم من الأحزان. وأين مسرات الفانية من مسرات الباقية؟ وأين

مباهج الدنيا من مباهج الآخرة؟ وأين ملاذ الأولى من ملاذ الأخرى؟ فهل تشتهي أنفسكم، وتتلذذ أعينكم من حطام الدنيا وجيف المادة شيئا، بعد ما بشرتم بما بشرتم به؟ وبعد ما أخبرتم بما ستصيرون إليه من بعد موتكم؟ إن كان الله بكم راضيا، وشاء أن يكون لكم وافيا. (ومن يصرف عنه يومئذ فقد رحمه، وذلك الفوز المبين} [الأنعام: 11] (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) [الأنعام: 185] طبعا، لا فوز إلا فوز الآخرة، ولا ظفر إلا ظفر الباقية، ولا رضى إلا رضى الله تعالى ولا سخط إلا سخط الله جل وعلا. ولا جرم أن من رغب عن الدنيا إلى الآخرة، وسعى لها سعيها، أصاب رضى الله ونال حبه، ولا تغرنكم بالله الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور. فإن الدنيا ضرارة زائلة بائدة، وإن الآخرة سرارة باقية واصبة، فخذوا من الدنيا أنصبتكم، وصبوا كامل تركيزكم على ما يبلغكم إلى مرضاة ربكم (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا) [القصص: 77] (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) [البقرة: 202 – 201]

ولا يخيلن إليكم الشيطان أنكم لا تصيبون خيرات الدنيا العميمة إذا وكلتم أنفسكم وفوّضتم أموركم إلى الله ربكم، فإنكم لو ظننتم بالله هذه الظنون، فظنونكم خاطئة، ومئنة من قلة خبرتكم، وضيق معرفتكم بالدنيا وظروفها وملابساتها، وبما يجري فيها من المداولات (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا، ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين) [آل عمران: 140].

ولا تنسوا في هذا المقام – رحمكم الله – مربي البشرية، ومعلم الإنسانية، ومغير الهمجية بالأخوة، ونبي الإله في البرية – عليه أكمل صلاة وأتم سلام – كانت حياته وحياة آله كما قالت عائشة – رضي الله عنها – : ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض. [البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ح 6454]، وكان لا يسأل الله من الدنيا إلا ما يسد حاجته، ويغنيه عن المسألة "اللهم ارزق آل محمد قوتا" [رواه البخاري عن أبي هريرة مرفوعا، نفس الكتاب والباب، ح 6460] وحياته كلها أسوة حسنة للخاصة والكافة، نبي أحق وأرفق عاش حياة أمر وأضيق، فاستبشروا أيها الآباء الذين تقومون بتربية أولادكم بكد أيمانكم، وعرق جباهكم، وارضوا بما قسم الله لكم من الأرزاق. واعلموا أن حظوظكم منهم

ثواب الله الجزيل، وفلاح الآخرة الأصيل، ولا تمدن أعينكم إلى ما متع الله به بعض الناس فتكونوا كأهالي البلاد الإغريقية الذين لا يهمهم إلا "التهام الحياة التهام الجائع النهم"، والذين كان بناء حياتهم على مبادئ مادية لا تمت إلى الله وطاعته بصلة، فلا يكونن مثلكم كمثلهم، ولكن اجعلوا ركائزكم مرضاة ربكم، وإحسان إسلامكم، وتخريج أولادكم وذراريكم مخارج البر والخير، واحيوا واسعدوا بأحلامكم اللذيذة التي تطيرون في سمائها طيران الحمائم البيضاء بأجنحة الآمال والرجاء، ولا تسقطوا أمام العقبات والعثرات والمعوقات والمثبطات، ولا تلتحفوا باليأس والتباطئ فتشقى حياتكم وتكدر راحتكم. ومن هنا يقول مصطفى لطفي المنفلوطي وهو يخاطب دهره: لا، لا، صن سرّك في صدرك، وأبق لثامك على وجهك،ولا تحدثنا حديثا واحدا عن آمالنا وأمانينا، حتى لا تفجعنا في أرواحنا ونفوسنا، فإنما نحن أحياء بالآمال وإن كانت باطلة، وسعداء بالأماني وإن كانت كاذبة:

وليست حياة المرء إلا أمانيا   إذا هي ضاعت فالحياة على الأثر

(النظرات ج 2 ص 82)

لكن أقول: لا تقعوا فريسة النقص، إن الله ليسعفكم بآمالكم، وليبلغنكم مراميكم، ولا تغتروا بمن نال من الدنيا ومباهجها وزخارفها أوفر حظ، وحصل على ثراء فذ وهو أشد على ربه عتيا، يتمرغ في مساخطه، ويتكدر من محابه، ويقنع بقليل من الدنيا عن كثير من الآخرة، فربّ رجل عاص قاس، فقير متمسكن بغيض لدى الناس، ألا ترون كيف قسم الله الأرزاق على عباده ؟!! فأعطى الصالح ومنع الطالح وأعطى الطالح ومنع الصالح (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا، كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورا، انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) [الاسراء: 18 – 21) وهذه الآية – الآية الأولى – تقيد ما سواها من الآيات، وإنما يصير أمثال هؤلاء إلى ما يصيرون إليه على سوء تصرفهم وصنيعهم، إذا اختاروا الفاني على الباقي. [ابن كثير 4 / 132 – 133 بتصرف يسير]،فلم يحط بهم من الدرجات إلى الدركات إلا ذهابهم في الالتقاط من الدنيا وفلتاتها مذهب سوء وإفراط، عافانا الله من ذلك، فعلمتم – أيها الآباء – أن الله أعلن في الآية للبشرية جمعاء بأن ميزان الثراء والهناء ومقياس العدم والشقاء لديه، إرادته ومشيئته، لا جدّها واجتهادها، كل من هو

غني، فهو فضل من الله عليه وإحسان منه إليه، ما كان ليناله بما سعى واجتهد، لو لم يتغمده بظلال فضله الظليلة، وكل من هو فقير فهو بلاء من الله له ومحنة، فلا يجدر به أن يسيئ من أجل ذلك بالله ظنه، وينسى في منعرجات حياته الأخرى فضله ومنه، فالفضل الحقيقي من فُضّل في الآخرة، ولا يفضل في الآخرة إلا من فاق أقرانه بالتقوى والحسنى، أما تفضيل الدنيا الذي نشاهد على هذا وذاك صباح مساء، فهو غير مستقر، ولا قيمة له بالنسبة إلى الآخرة.

فقوموا أيها الآباء الأماجد وانشطوا، ودوموا في مسيركم إلى بغيتكم واركبوا الأهوال تمتطوا الأمجاد.

فلله درّ من قال:

الجد في الجد والحرمان في الكسل فانصب تصب عن قريب غاية الأمل
واصبر على كل ما يأتي الزمان به صبر الحسام بكف الذارع البطل

وقال:

لا يمتطي المجد من لم يركب الخطر ولا ينال العلا من قدّم الحذر

فإن كنتم تجردون الجهود وتخلصون النوايا في تأديب أولادكم، وتنشئتهم على مناهج الإسلام ومذاهب الحب والوئام، ولا ترجون بذلك إلا الدار الآخرة، فأنتم سعداء، ولو صبرتم في الدنيا على العناء القليل، لتنعمتم في الأخرى بالهناء الطويل، قال طارق بن زياد فاتح الأندلس، وهو يحرض جيشه على القتال ضد طاغية القوم لذريق: "واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا، استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا". (مجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع ص 104)

علكم تحدثكم أنفسكم، ما لهذا، يطيل علينا الكلام ويسئمنا، ويكثف لنا النصح ويملّنا، لكن القلب إذا شعر بشيء عبّ عبابه واصطخبت أمواجه ليس لها حاد ولا لتياراتها راد، وكل ما خططت فيما سلف من حديث نفسي فلم أتمالك نفسي أن نفثته على وجوهكم، فبأيديكم الاستحسان والاستهجان.

جعلنا الله وإياكم من الفائزين بالآمال والأماني، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

من أخبار الجامعة

على دعوة من مسؤولي الجامعة المحمدية، ماليغاون، مهاراشترا، توجه وفد من الجامعة السلفية للمشاركة في الندوة العلمية التي عقدتها الجامعة المحمدية حول حياة الشيخ مختار أحمد الندوي وأعماله، رحمه الله، وذلك في الفترة: 2 – 3 / جمادى الآخرة 1431 هـ = 17 – 18 / ابريل 2010 م، وكان هذا الوفد مكونا من كل من:

1 – فضيلة الشيخ عبد الله سعود بن عبد الوحيد السلفي، الأمين العام للجامعة السلفية

2 – فضيلة الدكتور جاويد أعظم بن عبد العظيم ، عضو مجلس الجامعة السلفية

3 – فضيلة الشيخ أسعد أعظمي بن محمد أنصاري، عضو هيئة التدريس بالجامعة السلفية

يجدر بالذكر أن الشيخ مختار أحمد الندوي رحمه الله كان من جملة المساهمين في تأسيس الجامعة السلفية، وقد بذل جهودا مشكورة في التعريف بهذه الجامعة في الداخل والخارج، وفي الرقي بخدماتها إلى المستوى الأعلى، وظل على منصب نائب رئيس الجامعة السلفية من التأسيس طيلة حياته رحمه الله.

وقد عقدت الجامعة المحمدية – التي هي من إنشاء الشيخ الندوي – هذه الندوة العلمية للتعريف بشخصيته الفذة، وأعماله الخالدة التي هي ذخر له – بإذن الله – في الآخرة. والتي يستفيد منها الأجيال على مر العصور إن شاء الله تعالى.

وقد عقدت جلسات متعددة لهذه الندوة طيلة اليومين، قدم فيها العلماء والباحثون مقالاتهم وبحوثهم حول جوانب شتى من حياة الشيخ وإنجازاته، وعددوا مناقبه وخصائصه، وألقوا الضوء على ما قدمه للأمة في مختلف المجالات، العلمية والثقافية والاقتصادية والصحية وما إلى ذلك.

وقد جرى تدشين العدد الخاص لمجلتي "البلاغ" و "صوت الحق" الأرديتين الشهريتين – وهما أيضا من إنشاء الشيخ الندوي رحمه الله – في الحفل الافتتاحي للندوة. ويحتوي هذا العدد الخاص على بحوث ومقالات حول حياة الشيخ وأعماله، في نحو (350) صفحة.

وق شارك وفد الجامعة السلفية في معظم فعاليات الندوة، وقد فوضت رئاسة إحدى جلسات الندوة إلى الشيخ عبد الله سعود السلفي، الأمين العام للجامعة السلفية، وقدم فيها الدكتور جاويد أعظم مقالة موجزة باللغة الأردية حول بعض إنجازات الشيخ رحمه الله، كما قدم الشيخ أسعد أعظمي مقالته باللغة العربية حول مطبوعات الدار السلفية.

وقد شارك في هذه الندوة الشخصيات البارزة وأعلام العلم والدعوة من مختلف مناطق الهند ونيبال على دعوة من نجل الشيخ الندوي الشيخ أرشد مختار حفظه الله، الذي يقوم بالإشراف على كافة المؤسسات التي أنشأها والده رحمه الله، وقد بذل هو ومن معه من مساعديه جهودا مشكورة في إنجاح هذه الندوة، وفي خدمة الضيوف المشاركين فيها، وقد لمس المشاركون أن الشيخ أرشد يحمل عزيمة صادقة – بإذن الله – للرقي بهذه المؤسسات وبخدماتها إلى مستوى أرفع، ولإيصال خدماتها إلى عدد أكبر من المستفيدين.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل جهود الشيخ الندوي ويجزيه عليها خير الجزاء، ويوفق القائمين على هذه الأعمال بالثبات والمصابرة، وبذل أقصى ما في وسعهم للحفاظ على هذا التراث العلمي والدعوي والاجتماعي الذي خلفه الشيخ الندوي، رحمه الله رحمة واسعة.

الاختبارات:

أعلنت لجنة الاختبارات بالجامعة أن الاختبار السنوي للعام الدراسي الحالي (**31** – **1430** هـ = **10** – **2009** م) سيبدأ – بمشيئة الله تعالى – من **3** / جمادى الآخرة **1431** هـ – **18** / مايو **2010** م وينتهي في **16** / جمادى الآخرة **1431** هـ = **31** / مايو **2010** م، وتبدأ الإجازة السنوية من **21** / جمادى الآخرة **1431** هـ = **5** / يونيو **2010** م وتنتهي في **15** / رجب **1431** هـ = **28** / يونيو **2010** م.

وأعلنت إدارة القبول والتسجيل بالجامعة السلفية أن العام الدراسي القادم (**32** – **1431** هـ = **11** – **2010** م) سيبدأ – بمشيئة الله تعالى من **16** / رجب **1431** هـ = **29** / يونيو **2010** م. وتعقد اختبارات القبول لمختلف المراحل الدراسية في أول يوم من العام الدراسي الجديد.

***